قاسيون

العدد 295
السبت 3 آذار 2007
12 صفحة ـ الثمن (10) ل.س

بلغ عدد رواد موقعنا الالكتروني
حتى تاريخ إغلاق هذا العدد (1931528) زائراً..
زوروا «قاسيون» على موقعها الالكتروني:
WWW.KASSIOUN.ORG

ياعمال العالم، ويأيتها الشعوب المضطَهَدة اتحدوا!

دمشق ـ ص . ب (35170) ـ فاكس (3349208) ـ أنترنت: (WWW.KASSIOUN.ORG) ـ بريد الكتروني: (GENERAL@KASSIOUN.ORG)

مدارس قيد السقوط.. و «التربية» لا تستطيع ترميمها ص2

الافتتاحية

عن أي سلام يمكن أن يجري الحديث، وبأي اتجاه؟

«واشنطن تقبل وترحب بحضور اجتماع دول جوار العراق بمشاركة سورية وإيران..» هكذا، ودون الاستشهاد بأقوال مصادر أمريكية محددة بدقة بهذا الاتجاه، بالغت بعض المصادر الإعلامية السورية في تصديرها خبراً حول تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية أن واشنطن «ستحضر هذا الاجتماع المرتقب في حال تم توجيه الدعوة إليها» وما سبقها من تصريحات للبيت الأبيض من أن «رايس هي أفضل من يمثل واشنطن في الاجتماع» المفترض، وتوضيح لاحق من رايس ذاتها بأن «اللقاء محصور بمباحثات حول العراق فقط ولا يمثل مفاوضات» مع سورية وإيران.

رايس ذاتها هي من أصدرت «تعليمات مشددة» لئل أبيب بألا تحاول حتى «جس النبض مع سورية بخصوص نواياها السلمية» بمعنى أن واشنطن لم تعد تمتلك وقتاً كثيراً سوى لإبقاء الضغوط على سورية من باب المضي في المشروع الأمريكي في المنطقة الذي تشكل سورية إحدى جبهاته الرئيسية.

وبالمثل لا يبدو هناك أي انفراج في الضغوط التصعيدية الأمريكية- الإسرائيلية ضد إيران بل هناك مضي في التهديدات والتعزيزات والتحركات العسكرية في العراق ومنطقة الخليج وحتى أوربا، بما في ذلك تأكيدات ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي من أن «خطر المواجهة العسكرية مع طهران هو أهون من تركها تحصل على السلاح النووي»، وهو تهديد تلقفته، ولو بصيغة التخوف، وزارة الخارجية الروسية، بما يعني دخول التحضيرات التنفيذية للعدوان على إيران مرحلة نوعية جديدة تستدعي من موسكو التعليق عليها.

المحللون العسكريون الأمريكيون باتوا يقولون إن «أي ضربة لإيران قد لا تقضي على مشروعها النووي» وهو تصريح يطالب ضمناً بضربة من طراز محدد، ولتكن نووية إذاً! وهو ما يتوقع حدوثه دون موافقة روسيا وأوربا على الأرجح ولكن دون معارضة جدية منهما في الوقت نفسه.

وسط هذه الأجواء، بدأ الحديث عن انعقاد قمة عربية جديدة تبدو، حتى قبل انعقادها، منقسمة بوضوح بين محور «المعتدلين» ومحور «المتشددين» وحول جميع الملفات: فلسطين، لبنان، واستهداف إيران وسورية ناهيك عن السودان.

محور ما يسمى «المعتدلين» العرب (بشكل رئيسي مصر، السعودية، الأردن) بات متورطاً في المشروع الأمريكي الإسرائيلي حتى العظم ولاسيما باتجاه إجهاض أي حد من المقاومة العربية: مزيد من الضغوط على حماس لدرجة مطالبتها باسم «المجتمع الدولي» بالرضوخ للاتفاقات السابقة الموقعة مع «إسرائيل»، وليس مطالبة ذاك المجتمع بالضغط على الكيان الإسرائيلي للرضوخ لمطالب الشرعية الدولية إن لم نقل الحقوق الفلسطينية، إمداد عناصر بعض أحزاب حكومة السنيورة في لبنان بالعتاد والسلاح زرعاً للفتنة في لبنان ضمن محاولة النيل من المقاومة اللبنانية وحزب الله، التحالف حتى مع إسرائيل في الموافقة على العدوان على إيران وإضعاف سورية ناهيك عن التحالف الأساسي مع واشنطن في الاتجاه ذاته بما فيه زيادة التسلح الخليجي من أجل مواجهة وموازنة ما يسمى بالنفوذ والقوة العسكرية الإيرانية في المنطقة، ودائماً على أساس فرز تضليلي طائفي مذهبي ينحرف بالصراع في المنطقة عن جبهاته الأساسية مع واشنطن وتل أبيب.

وفي حال انعقادها، دون أن يسبقها العدوان على إيران أو سورية أو كليهما، واشتعال المنطقة برمتها بالنتيجة، من المتوقع أن تعلن القمة العربية شكلياً تمسكها بـ«غصن زيتون المبادرة العربية للسلام»، وبمطالبتها بحل سلمي للملف الإيراني، ومثله بخصوص الأزمة اللبنانية، علماً بأن المبادرة العربية معنية بحل الصراع العربي الصهيوني في حين أن المنطقة تشكل حاليا بؤرة رئيسية للعدوان الأمريكي على العالم كله رغم أن الحرب المرتقبة تبدو أمريكية-إيرانية!

ومرة أخرى تبرز المفارقة في أن المعتدلين هم أصحاب «مبادرة السلام العربية» وهم في الوقت ذاته أنصار المشروع الأمريكي مع كل أدواته بما فيها التحريض الطائفي التفتيتي.

من هنا، وإذا كانت واشنطن لا تريد منح دمشق وقتاً للسلام، فإن أي حديث عنه مع ازدياد قرع طبول الحرب في المنطقة هو مضيعة للوقت وإضعاف للتحضيرات المفترضة للمواجهة المرتقبة، بما لا يبقي أمام كل الوطنيين في البلاد سوى خيار وحيد هو المقاومة لتكون بوابة السلام ولكن من موقع الانتصار لا المساومة والانتظار، وفي ذلك كرامة للوطن والمواطن. ■■

القفز عن الفشل باتجاه عدوان جديد

من واشنطن حيث انطلقت فعاليات مؤتمر عن الأمن الدولي نظمته مؤسسة القرن، أكد هانز بليكس المدير العام السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة، والرئيس السابق للجنة التفتيش الدولية على الأسلحة العراقية، أن النهج الذي يتبعه العالم فيما يتعلق بطموحات إيران النووية ينطوي على إهانة لطهران بالإصرار على أن توقف أبحاثها دون إعطائها أي ضمانات أمنية، ولاسيما مع وجود القوات الأمريكية في جاريها العراق وأفغانستان.

وقال «على المرء أن يراعي أن الناس لهم كبرياء سواء كان يحبهم أو لا ... لم نسمع أي شيء عن عرض بضمانات للأمن في حالة موافقتهم (الإيرانيين) على التخلي عن تخصيب اليورانيوم»، موضحاً أنه ينبغي على الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى أن تشرع في محادثات مباشرة مع إيران بدلا من أن تكتفي بتوجيه أوامر إلى طهران لتعليق أبحاثها النووية أولاً.

وأضاف: «هذا مثل من يقول لطفل.. عليك أولاً أن تتصرف بطريقة معينة وبعد ذلك سنعطيك مكافأة.. اعتقد أن هذا تصرف مهين».

وكان بليكس الذي يعد من المعارضين للغزو الأنغلو أمريكي المبيت على العراق بذريعة أسلحة الدمار الشامل أكد في مقال نشره مؤخراً في صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية أن واشنطن تسعى لخفض الاهتمام لدى الجمهور الأمريكي بالانهيار والفشل الكامل في العراق من خلال فتح جبهة جديدة عن طريق قصف إيران، وذلك على الرغم من معارضة غالبية الأمريكيين للقيام بمغامرات عسكرية جديدة.

وأوضح بليكس أنه من الصعب، في حالة إيران، فهم لماذا يجري وضع تعليق برنامج تخصيب اليورانيوم شرطاً مسبقاً لأية محادثات يفترض أن يكون هذا التعليق هو الموضوع الرئيسي فيها.

وخلص بليكس إلى أنه حتى الآن وعلى الرغم من الوضع المفجع في العراق، إلا أن إدارة بوش تفضل الحديث مع إيران وسورية من خلال التهديدات العسكرية المباشرة، وهذا يشبه قليلاً رئيس العمل عندما يقول إنه يود تبادل وجهات النظر مع مرؤوسيه، ولكنه يصر على أن يخرجوا بوجهات نظره هو!!؟ ■■

جوزيف سماحة.. وداعاً!

تتقدم أسرة تحرير صحيفة «قاسيون» بأحر التعازي إلى نقابة الصحفيين ونقابة المحررين في لبنان وهيئة تحرير صحيفة الأخبار برحيل الصحفي الكبير والإعلامي البارز، الرفيق الأستاذ جوزيف سماحة.

كما أنها تتقدم من أسرته، زوجته وولديه، وعموم آل سماحة، وكذلك أصدقائه ورفاقه بأصدق المواساة والعزاء برحيله، وترجو لهم الصبر والسلوان بهذا المصاب المباغت الذي كان وقعه قاسياً ومؤلماً على كل من عرفه أو قرأه وآمن برسالته الإعلامية التحررية التقدمية العظيمة التي نذر حياته من أجلها..

انطبقت على الراحل جوزيف سماحة صفات المناضل الشيوعي بامتياز: فقد كان بارد الرأس، دافئ القلب، نظيف اليد، ليشكل عبر قلمه الثر الجريء، مثلاً يحتذى لجميع الإعلاميين العرب في الدفاع عن الحقوق الوطنية اللبنانية والعربية والعالمية، وفي مقدمتها حق المقاومة، وفي نصرة المظلومين، والالتزام بأهداف وتطلعات الجماهير العربية في التحرر والتقدم والاستقلال، من خلال مصداقيته العالية وموضوعيته وعمق وصوابية تحليله وقراءته للواقع واستشرافه المستقبل..

ونحن، في أسرة تحرير قاسيون ومعنا آلاف الشيوعيين السوريين، على ثقة بأن رفاق جوزيف سماحة وزملاءه سيواصلون الدرب الذي اختاره الراحل الكبير لأنه مسار الأحرار مهما قل عددهم في هذا الزمن الرديء الحامل لبذور الانقلاب عليه وتغييره.

■ أسرة تحرير قاسيون
دمشق ٢٠٠٧/٢/٢٦

وسام العار لقائد العسكر الأمريكان.. ص8

ياهيك المؤتمرات الطلابية.. يا بلا.. ص4

منظمة التجارة العالمية: نظرة من الداخل.. ص6

القضاء ينتصر لـ«قاسيون» في حربها على الفساد.. ص3

أحداث ووقائع وأرقام برسم وزارة التربية ومديرية تربية دمشق..

مدارس قيد السقوط.. و«التربية» لا تستطيع ترميمها

دون خطط ودون سابق إنذار يتم التغيير والتبديل، نرمي فلاناً ونضع فلاناً مكانه، أما لماذا رميناه؟ ما أوجه التقصير الذي مارسه؟ لا أحد يعرف.. ما هي خطة الشخص الجديد؟ ما هي مشاريعه لتطوير آليات العمل؟ لا أحد يعرف أيضاً.

الكفاءات ذاتها، طرق العمل وأساليبه ذاتها، الخدمات إن وجدت ذاتها أيضاً، إذاً لماذا التغيير؟ ما الجديد المطروح الذي يتطلب وجوهاً جديدة؟

بعض المدراء الواثقين من أنفسهم قالوا: هذه بداية لترقيتنا إلى منصب أعلى، والبعض قال غير ذلك ونحن مع هذا البعض.

أما المديريات التي طالها التغيير فهي:

مديرية الثانوي ـ مديرية الامتحانات ـ مديرية الإعداد والتدريس، يضاف إليهم تغيير ستة مدراء مساعدين لمدراء التربية في المحافظات التالية: الحسكة ـ السويداء ـ دمشق ـ اللاذقية ـ حماة، ويقال إن الدور قادم نحو الباقين.

لا شك أن وزارة التربية لديها أسبابها للقيام بهذه الخطوة، ولكن السؤال: لماذا لا تعلن عن هذه الأسباب؟ وما هي خطط المدراء الجدد؟ وما التغيير الذي سيحصل؟ فلننتظر... ما هو قادم؟!

المدرّسون ممنوعون من المرض!!

إذا كنت مدرساً فأنت لا تمرض أبداً.. ولماذا تمرض؟ ماذا ينقصك حتى تمرض؟ كل شيء متاح وفي متناول اليد، فعش دون مرض وبقرار رسمي.

إن التدريس بعكس ما يشاع هو ترياق ضد معظم الأمراض، لذلك وزارة التربية لا تعترف إلا بقائمة صغيرة من الأمراض وعلى جميع المدرسين أن يلتزموا بها، وأي مدرّس يمرض بمرض مختلف لا تعترف الوزارة به وعليه أن يبقى على رأس عمله.

هذه ليست نكتة وإن بدت كذلك..إنها حقيقة.

أما الأمراض المعترف بها فهي: إصابات الحنجرة ـ استئصال أحد الأعضاء ـ الأمراض القلبية ـ الدسك.

فقط هذه الأمراض إذا أصيب بها أحد المدرسين يستطيع بعد أن يقدم الأدلة القاطعة ليتحول إلى عمل إداري ـ طبعاً إذا توفر الشاغر والشاغر غير الله لا يستطيع أن يوفره.

هناك أمراض كثيرة تحول بين المدرس وبين أداء عمله بشكل طبيعي فلماذا هذا التحديد؟ هذا من جهة ومن جهة أخرى هل الأعمال الإدارية: مدير، موجه...الخ يقوم بها أناس (معطوبون)؟ أم أنها بحاجة إلى طاقات نشطة؟

المدارس المستأجرة... الخطر القادم

يبلغ عدد المدارس المستأجرة في محافظة دمشق حوالي ٢٢٠ مدرسة، أخلي منها حوالي ٤٠ مدرسة لأنها آيلة للسقوط وبحاجة إلى ترميم. بعضها أحيل إلى رئاسة مجلس الوزراء مثل ملحق القدم الأولى في القدم والبعض الآخر تقرر إحالته إلى الخدمات الفنية مثل مدرسة جميلة الأنصارية في باب توما وعمرة النجارية في باب الجابية.

وبعض تلك المدارس مغتصبة أو مشغولة من مالكيها أو هيئات أخرى مثل ملحق أبي زيد الأنصاري في الشاغور، وهي مشغولة من نادي الشبيبة، إضافة إلى أم هانئ القرشية في أبو جرش أكراد... وغيرهما مدرسة باحثة البادية في المزة مشغولة من الشؤون الاجتماعية والعمل، التطبيقات المؤنثة مشغولة من الأمن العسكري.

الثانية للبنات في قنوات جادة مشغولة من فرع ريف دمشق للشبيبة ونقابة المحامين ونقابة الفنون الجميلة.

مدرسة عدنان المدني في برزة مشغولة من الشبيبة والاتحاد النسائي. الميدان ٣ للبنين مشغولة من المختار.

وهناك مدارس مشغولة من لجنة الدفاع عن العاصمة...الخ.

ونشير هنا أن اللجان الخاصة بوزارة التربية منعت من دخول هذه المدارس لقياس مساحتها والإطلاع على أوضاعها.

لاشك أن الشبيبة والأمن العسكري والاتحاد النسائي والمختار و.... هي جهات تربوية بامتياز! إلا أن هذا لا يبرر لها استيلاءها على مباني وزارة التربية.

إن معظم هذه الجهات لها ميزانياتها ومرافقها الخاصة فما الذي يبرر لها استيلاءها على تلك المدارس؟ هل تم هذا الاستيلاء بموافقة وزارة التربية والتنسيق معها؟ لا أظن ذلك لأن جداول مديرية التخطيط والإحصاء في وزارة التربية تقول إنهم لم يستطيعوا دخول هذه المدارس وقياس مساحتها، وبالتالي هي تابعة اسمياً لها، ولا ندري إذا كانت وزارة التربية مازالت تدفع إيجارها أم توقفت، لكن ما نعرفه أن بعض تلك المدارس شطبت من قوائم وزارة التربية وألغيت، فهل هذا تنازل ورضوخ للأمر الواقع؟

هل هناك دعاوى قضائية ضد تلك الهيئات التي شغلت واغتصبت تلك المدارس؟ هل هناك سعي لاستعادتها؟

في المعلومات التي بين أيدينا أحصينا ثلاث مدارس فقط فيها دعاوى قضائية على المالكين، والغريب أن القانون لا يتحرك إلا ضد المالكين الأساسيين.

هذه المدارس هي

دمر الأولى للبنات في دمر الشرقية، ملحق ذات النطاقين، وموسى بن نصير في مساكن برزة..

لماذا لا توجد دعاوى قضائية ضد الهيئات الرسمية التي استولت على مدارس وزارة التربية؟

هل لدى الوزارة فائض من المدارس توزعه على النقابات والهيئات الرسمية؟ وإذا كان لديها ذلك لماذا تستأجر مدارس؟

الغريب في جداول وزارة التربية أن المدرسة المستولى عليها من مالكها الأصلي تكتب في بند المساحة (مغتصبة من المالك)، أما إذا كانت المدرسة مغتصبة من هيئة أخرى يكتب (مشغولة من الشبيبة أو الأمن أو...الخ). فلماذا الكيل بمكيالين يا من تعلمون الناس أصول اللغة؟

هل المالك الذي يتقاضى ألفي ليرة أجرة مبنى مدرسة، إذا استعادها يصبح مغتصباً والشبيبة أو غيرها من المؤسسات الرسمية إذا استولت على مدرسة دون وجه حق تصبح قد (شغلتها)؟ إننا نستطيع أن نتفهم ظروف مالك إحدى المدارس استعادها قسراً، لكن لا نستطيع أن نتفهم أبداً وضع مؤسسة رسمية تستولي على مدرسة مستأجرة.

مدارس بلا باحات

قد تكون المدارس المستأجرة في معظمها متآكلة وبحالة مزرية لكن أن تكون دون باحات أو بمساحات (ميكروسكوبية) فهذا شيء لا نستطيع فهمه. ففي مرسوم التعليم الخاص (رقم ٥٥) لا يرخص لأي مدرسة إلا إذا حققت الشروط المعمارية الصحيحة، ومنها وجود الباحات بمساحات محددة في رياض الأطفال يخصص ثلاثة أمتار فسحة سماوية لكل طفل تستوعبه المدرسة، وفي المدارس الابتدائية متران، وفي الإعدادي والثانوي متر ونصف لكل طالب.

لماذا نطالب القطاع الخاص بما لا نستطيع تحقيقه في مدارسنا؟ لماذا نسن القوانين ونخرقها في الوقت نفسه؟

أمثلة حية..

مدرسة عز الدين القسام في منطقة قدم عسالي مساحتها لا تتعدى ١٤٠م٢ ولا يوجد بها أي باحة.

مدرسة ضرار بن الأزور في الشاغور ـ دويلعة مساحتها ١٩٢م٢ والباحة بمساحة ٣٠م٢ ويفترض حسب القانون أن يكون في هذه المدرسة ١٥ طالباً فقط!

مدرسة عبد الملك بن مروان مساحتها ١٢٥م٢ والباحة ٣٢م٢ وتقع في منطقة القدم ـ عسالي.

هذه عينة من المدارس التي لا تحقق لطلبتها الحد الأدنى من المعمار المدرسي المتعارف عليه أو المنصوص عنه في المراسيم.

تباين في نفقات الماء والكهرباء

هناك مدارس بدوام واحد ومدارس بدوامين.. فهل يعقل أن يكون إنفاق المدرسة ذات الدوام الواحد من الماء والكهرباء أكثر بأضعاف من إنفاق المدرسة ذات الدوامين؟

هناك مدارس متقاربة ولها عدد الطلاب نفسه وعدد الغرف نفسها، فلماذا يكون الفارق في استهلاكها كبيراً جداً.

ألا يدعو هذا إلى التساؤل عن أسباب التباين في نفقات الماء والكهرباء في المدارس.

هل هناك تلاميذ يستهلكون الماء والكهرباء أكثر من غيرهم؟ هل هناك مسبح في مدارسكم؟ لنلق نظرة على نفقات بعض المدارس:

مدرسة رشيد رضا ـ في الميدان ـ عدد صفوفها ٦ ودوامها كامل، إنفاقها من الماء والكهرباء ٥١٣٢٧ ل.س.

مدرسة تاج النساء ـ في الميدان ـ عدد صفوفها ١١ دوامها كامل، إنفاقها ٥٦٩١٦ ل.س

مدرسة هواري بومدين ـ في المزة ـ عدد صفوفها ٩ دوامها كامل إنفاقها ٥٧٣١٢ ل.س

مدرسة عماد الدين الزنكي في الميدان إنفاقها ٥١٧٥٢ ل.س

مدرسة أم عاصم ـ في شويكة قنوات ـ عدد صفوفها ١٢، دوامها كامل، إنفاقها ٥٧٠٠٠ ل.س

مدرسة عائشة الصديقة ـ في الميدان ـ عدد صفوفها ٨ دوامها كامل، إنفاقها ٤١٨٤ ل.س

مدرسة جميلة القيسية ـ في المهاجرين ـ عدد صفوفها ٩ دوامها كامل إنفاقها ٤٣٢٨ ل.س

إننا لا نشير إلى أي شيء عبر عرضنا لهذا التباين في الإنفاق.. وإنما نلفت نظر من يجب أن يكون لديهم كل النظر، وندعوهم إلى ترشيد استخدام الطاقة كما يدعون هم أبناؤنا في المدارس.

أخيراً نشير أن هناك مدارس مخلاة لا طلاب فيها، والغريب أن إنفاقها من الماء والكهرباء يوازي المدارس المكتظة وكمثال على ذلك:

مدرسة الفضيلة والعلم في الشاغور الذي بلغ إنفاقها ١٢٠٩٠

مدرسة القادسية في ركن الدين وكان إنفاقها ٤٠٩٩٤

عثمان ذي النورين في الأكراد وإنفاقها ١٩٧٩٧

ملحق جوبر في جوبر وإنفاقها ١٥١٢٠

ابن الجوزي في الشاغور وإنفاقها ١٠٣٠٠

والقادسية في الميدان والمدرسة التطبيقية للمناشط الطلائعية في المهاجرين

ومركز التدريب المستمر في القنوات، ومدرسة الشفاء العدوية في برزة وأحمد الغزاوي في الروضة ـ شركسية...الخ.

قيد السقوط!!!!

عدد كبير من المدارس المستأجرة مهدد بالسقوط، أخلي منها نحو ٤٠ مدرسة، بعضها تهدم، وبعضها الآخر بحاجة إلى ترميم كبير.

وهناك مدارس يرتادها عشرات الطلاب ووضعها الفني خطر وبحاجة إلى ترميم سريع، فماذا أنتم فاعلون؟

ـ ترممون؟.. قوانين الاستئجار لا تتيح لكم ذلك، فأنتم لا تستطيعون ترميمها بما يعادل قيمة الإيجار، لأن إيجارها زهيد، والمالك لا يرممها على نفقته.

ـ إذاً الحل الوحيد أن تدعموا الجدران والسقوف ببعض (السقالات)، كما فعلتم بمدرسة (قاسيون) في ركن الدين، ولكن هذا ليس حلاً.. نحن بحاجة لحل جذري لهذه المشكلة.. وهناك مدارس بحاجة إلى تدخل سريع لإصلاح وضعها مثل مدرسة طه حسين في القابون، ومدرسة الملكة بلقيس في البرامكة، ومدرسة صلاح الدين الأيوبي في القنوات، ومدرسة عباس بن فرناس في ركن الدين أكراد.

إن هذه المدارس قيد السقوط (حسب بيانات وزارة التربية) ماذا ننتظر؟ سقوطها أم قرارات الترميم؟

هل الوقت في صالحكم؟

أظن أن هذا الموضوع يجب أن يتخذ فيه قرارات سريعة وحاسمة لأن سقوط مدرسة لن يرضي أحداً، ولن يعبر بسلام... فحاذروا!

■ **سامر عادلة**

وزارة التربية.. عاجل جداً

أيها المقررون والمنفذون والمفتشون في وزارة التربية.. نحيطكم علماً أن قسماً كبيراً من المناهج الدراسية وبكافة المواد، وخصوصاً لصفوف شهادتي، التعليم الأساسي، والثانوي بشقيها العلمي والأدبي، لم يعد هناك متسع من الوقت لإعطائها للطلاب، وهذا ما يحصل كل عام تقريباً باعترافاتكم، وهو يشمل الآن معظم المدارس في المديريات كافة، فهل ستتعامون وتتباطؤون كعادتكم عن معالجة هذه المشكلة، وتتركون الطلاب لأقدارهم البائسة في الامتحانات، أم أنكم ستحاولون، مجرد محاولة، أن تجدوا حلاً لهذه الكارثة الدائمة؟؟ ■■

نقابة المعلمين... لا حول ولا قوة

إن عدم وجود صلاحيات حقيقية بيد نقابة المعلمين من شأنها أن تقرر أو تطالب بوضع حد للتدهور المستمر في مكانة المعلم الاقتصادية والاجتماعية له الكثير من الانعكاسات السلبية على العملية التربوية والتعليمية برمتها، وبرأينا أن العمل النقابي هو واجب وطني وكفاحي، ولكن آليات العمل النقابي بين صفوف المعلمين تحتاج إلى إعادة نظر جذرية بغية تطويرها من النواحي كافة

وانطلاقاً من أن العمل النقابي يهدف للدفاع عن حقوق المعلمين، فيجب التأكيد اليوم أن هذه النقابة لا تستطيع أن تمارس ذلك عملياً بتعاملها مع المشكلات التي تحدث في مدارسنا بحق المعلمين.. فمثلاً فرض العقوبات المختلفة والحسومات المادية هي من شأن مدراء المدارس بما يحملون من عقلية مزاجية تسلطية، فتأتي مديريات التربية فتوافق عليها، علماً أن قلة من هؤلاء المدراء يرتقون بالعمل الإداري إلى المستوى الذي يرضي المعلمين.

ومن جانب آخر مساهمة النقابة في إبقاء هؤلاء المعلمين على جهل بالقوانين والنظم أثناء الدفاع عن أنفسهم يثير الشكوك، فمثلاً يعتبر المعلم تقديم أي شكوى بحق مسؤول مشكلة حقيقية، ويؤمن المعلم أن هذا المسؤول سيمسي عدواً نافذاً يسبب له الأذى و«البهدلة» خصوصاً إذا كان ذا أذرع طويلة فيمتنع عن التشكي بالرغم من أهمية هذه الشكاوي في تصحيح مسار العملية التربوية والتعليمية.

إن حواجز الخوف كثيرة لدى هؤلاء المعلمين وهي لن تزول ببساطة وضمن فترة زمنية قصيرة كما هو مطلوب، فالمعلم كغيره من المواطنين يكره مراجعة دوائر الدولة والوقوف في المحاكم خاصة أن كل ذلك يجري في ظل معاناته الفائضة ضمن المدارس وشعوره المستمر بأنه دون ظهر أو حماية. لذلك فإن توضيح المعايير والقوانين من هذه النقابة هو أمر في غاية الأهمية.

وفي الحقيقة فالواقع المدرسي يتسبب للمعلمين باليأس والإحباط، وهو مستمر يومياً تحت ضغط الظروف الاقتصادية والمعيشية وارتفاع الأسعار من جهة، وضغط القوانين الحالية التي هي بنظر أغلب المدرسين تدمر الجيل والعملية التربوية والتعليمية..

دور النقابة ورأي المدرسين بها: إن أغلب المدرسين يعتقد أن الانسحاب من النقابة في ظل ظروف معاناتهم المعيشية والنفسية أفضل من البقاء فيها، وإن دلّ هذا على شيء فهو يدل على وجود مشكلة حقيقية دون علاج وبرأينا يمكن تلخيصها بما يلي:

١ ـ معظم المدرسين لا يستخدمون دفاتر الصحة لعدة أسباب، فهي لا تساعد على تخفيف الأعباء المادية أثناء العمليات الجراحية وصرف الوصفات الطبية وغيرها.

٢ ـ تدني بدلات طبيعة عمل المعلمين، فاليوم مع شدة تزايد الأسعار وتدني الرواتب والتعقيدات والمشكلات النفسية والاجتماعية الناجمة عن الكثافة الصفية وعدم وجود قوانين تساعد المدرس في حماية نفسه ضد الفوضى، وسيطرة الطالب على المعلم، جعلت المعلم دون حصانة.

٣ ـ مؤتمرات الوحدات النقابية: فتلك المؤتمرات مازالت شكلية حيث يتحدث المسؤول عن الإنجازات التي قدمتها النقابة للمعلمين، وما أدراك ما هي هذه الإنجازات؟ أما الانتخابات فهي تجري في أجواء خالية من المنافسة، والمرشح يفوز بالتزكية غالباً حتى ينصرف المؤتمرون إلى بيوتهم ومنازلهم مبكراً.

٤ ـ الجمعيات السكنية الخاصة بالمعلمين: إن ارتفاع الأسعار الجنوني للعقارات يجعل المعلم في حلم مستحيل المنال وهو الحصول على سكن، وبالتالي فمسؤولية النقابة وكل الجهات المعنية في البلاد هي تأمين سكن يليق بمستوى المعلم لينعكس على العملية التربوية والتعليمية إيجاباً.

٥ ـ عدم وجود صلاحيات في الوحدات النقابية: فهذه الوحدات لا حول لها ولا قوة والأعضاء محكومون بسيطرة المدراء وتوجيهاتهم رغم تدني كفاءاتهم في أغلب الأحيان، وبالتالي فتطور العمل النقابي في المدارس مرتبط بصلاحيات واسعة ومن أهمها:

١ ـ إعطاء صلاحيات إدارية للوحدات النقابية للمساهمة في تخفيف العقوبات عن المدرسين عند استجواب المدرسين مثلاً.

٢ ـ عقد اجتماعات شهرية بين الوحدات النقابية ومدراء التربية وشعبة التوجيه التربوي.

٣ ـ توسيع الصلاحيات من فرع النقابة إلى الوحدات النقابية.

ومما لا شك فيه أن توسيع الصلاحيات هي الطريقة الوحيدة لضمان نجاح العمل النقابي ومن دون ذلك ستستمر العملية التربوية والتعليمية بالتدهور.

■ **عابدين رشيد**

مؤسسات علمية أم إقطاعات للربح فقط؟

جامعة المأمون نموذجا

جاء قرار السماح بافتتاح الجامعات الخاصة في سورية كخطوة على طريق الخصخصة التي تتبناها الحكومة السورية في السنوات الأخيرة والتي تسير نحو خصخصة الماء والهواء والشجر كما يبدو، وأصبح التعليم العالي في سورية لأول مرة على مستويين الأول: هو التعليم الرسمي والثاني هو التعليم الجامعي الخاص، وإذا كان للتعليم العام همومه ومشاكله المزمنة كانعكاس للواقع العام في البلاد، فإن تحقيقنا عن بعض جوانب الواقع في جامعة المأمون الخاصة في القامشلي يكشف وبشكل واضح أن التعليم الخاص ليس هو الدواء السحري، وليس

بأفضل حال، بل زيادة على ذلك هناك مشاكل لم ولن تمر على التعليم الرسمي... طبعا، ودون تستر هي المشاكل المادية التي يتحمل الطلبة وذووهم أعباءها... وبغض النظر عن الموقف من التعليم الخاص، فهو قد أصبح أمرا واقعا فعدد الجامعات الخاصة تقارب اليوم عشر جامعات ومن هنا فإن تسليط الضوء على هذه التجربة بات أمرا ضروريا، إذ ستخرج جيلا من الكوادر التي من المفروض أن تكون مؤهلة للعمل في مختلف المجالات المجتمعية والوطنية، وبالتالي إن تقصير هذه الجامعات سواء كان عن سوء نية أو حسن نية هو بمعنى من المعاني حرب على الوطن وهو ما لانرضاه..

جامعة المأمون: المقر الرئيس القامشلي، عدد الطلاب ١٠٠٠، الفرع الثاني حلب تادف عدد الطلاب ١٦٠٠، رئيس الجامعة أسامة دويدري... الاختصاصات هندسة كومبيوتر – لغة انكليزية إدارة أعمال هندسة اتصالات...

بدأت جامعة المأمون عملها بمجرد حصولها على ترخيص من وزارة التعليم العالي ومن الطبيعي أن تواجه في البداية العديد من الصعوبات، فقد افتتحت أبوابها في مقرات مؤقتة إلى أن تجهز أبنية الجامعة الرئيسية هذا الواقع تفهمه الطلبة وتأقلموا معه ولكن بعد مضي ٣ سنوات على الافتتاح بدا واضحا أن التقدم الوحيد للجامعة هو انتقالها إلى مقرها الدائم (وللأمانة البناء عصري ومجهز بكل ما يلزم)، وعلى الجانب الآخر كانت مشاكل الطلاب ثابتة وتزداد أحيانا لاسيما ما يتعلق بالتسجيل والدراسة وبعد أن يئسوا من وعود إدارة الجامعة تقدموا بشكوى إلى وزارة التعليم العالي لزيارة الجامعة والاطلاع على واقع المشاكل التي يواجهها الطلاب... وبالطبع اكتفت الوزارة بمراسلة الجامعة وطلب رد على الشكاوي المقدمة من الطلاب والإدارة لم تتردد في ردها بتبرير كل شيء وانتهى كل شيء.

مؤامرة؟

ما سنورده في السياق التالي يمكن تسميته بالمؤامرة أطرافها وزارة التعليم، وجامعة المأمون يدفع ثمنها الوطن بكل أطيافه وعاداته وتقاليده وتعدده الجميل ونص المؤامرة هو ما ورد في رد رئيس جامعة المأمون د.أسامة دويدري إلى وزارة التعليم العالي حول شكوى طلاب الجامعة إلى الوزارة رقم ٣ر ج \ ص ٧٣٣ تاريخ ١٦\ ١\ ٢٠٠٦ ، والذي تضمن: (إدارة الجامعة تعلم تماما الطلاب الثلاثة الذين كانوا وراء الشكوى، وهم من طيف واحد من ذوي اتجاهات سياسية خاصة تم توظيفهم من جهات مغرضة بهدف الإساءة للجامعة العربية الوحيدة التي تم إحداثها في القامشلي)...

(السيد معالي الوزير: تضم مدينة القامشلي عدداً من الأقليات القومية والدينية والعرقية يتحدثون لغات مختلفة وإن بعضا من هذه الفئات لا ترغب بإنشاء جامعة عربية في تلك المنطقة، لذلك حاربت وماتزال جامعتنا منذ اليوم الأول لإنشائها، وطالبت بتدريس ونشر اللغة الخاصة بها، وإن توجيه السيد رئيس مجلس الأمناء شفهيا بأن تكون اللغة المتداولة داخل الجامعة هي اللغة العربية فقط، أدى إلى استياء بعض الطلبة المسيسين من الذين يحاولون الإساءة إلى هذه الجامعة دائما... نأمل سيدي الوزير أن تستمر وزارتكم الموقرة بدعم جامعتنا الفتية)..

الفقرتان السابقتان وردتا حرفيا في الرد!!

أشير أولا أن الشكوى وقع عليها ١٤٦ طالباً وطالبة، وهي تتعلق بأمور تنظيمية وتعليمية، معظمها إن لم نقل كلها صحيح، كما أن الطلاب قاموا بممارسة حق تكفله كل القوانين والشرائع والأحكام، وكان الأولى بالسيد رئيس الجامعة الرد على الشكوى بالوثائق والأرقام الحقيقية، لا الهروب إلى الإمام، ومحاولة افتعال فتنة، وتغييب المشكلة الرئيسية وهي إخفاق جامعته في الكثير من الجوانب. إن رئيس الجامعة ينزلق من حيث لايعلم إلى المس بالوحدة الوطنية قدس الأقداس التي لن نسمح له ولأمثاله اللعب عليها... سيدي رئيس الجامعة أجدني مضطرا إلى التذكير بأنك من خارج المحافظة والحمد لله، وأهل مكة أدرى بشعابها، وإن الهروب من الإجابة على شكاوي الطلبة، لانقبل أن يدفعك نحو المس بسلاحنا الوحيد في مواجهة مشروع كبير(إثارة الفتن) أنت مطلع عليه دون شك، وغير مدعو لمواجهته إذا لم ترغب... ولكن حذار من خدمته بمثل هذه الأساليب الرخيصة..

الوزارة النائمة

إن رد جامعة المأمون المرفوض بكل المقاييس، والذي لايليق بمؤسسة تعليمية، وصل إلى أدراج الوزارة دون أي رد فعل... وهم (في الوزارة) إما لم يقرأوه، أو أنهم لم يدركوا معناه، ولا أريد الخوض في احتمالات أخرى، وإلا ما مبرر صمت الشياطين هذا؟ وعلى كل حال، الوزارة مدعوة للرد على مثل هذا الجواب الذي ينضح بفكر متعصب، ومعالجة المشكلة الحقيقية عبر اللقاء بالطلبة ميدانيا وردع الجامعة عن تجاوزاتها، في الجوانب المالية والخدمية التي طالما وعدت بها الطلبة ولم تنفذها، وإبداعها في(تلطيش) نفقات زائدة عن المتفق عليه، أو إلزام الطلبة بشراء هذا الكتاب أو ذاك، والقصور في أوضاع بعض المخابر، وتطفيش بعض الأساتذة المتميزين الذين لم يوافقوا على ممارسات الإدارة..

دعاية، إعلان، علاقات عامة... وخداع!

بالعودة إلى الجامعة وهموم الطلبة، لا يمكن القول إن إعلانات جامعة المأمون التي نطالعها في الصحف والمجلات والبروشورات تكلف ميزانية ضخمة، والإعلانات على كل حال تشمل العديد من الكليات منها الطب والصيدلة كما تشمل على العديد من أسماء الجامعات الأمريكية والبريطانية تدّعي جامعة المأمون بوجود علاقة علمية معها حول هذا الموضوع وجهت وزارة التعليم توضيحا إلى جريدة تشرين الرسمية تقول الوزارة فيه إن إعلان جامعة المأمون موارب للحقيقة، ومما جاء فيه أن قانون إحداث جامعة المأمون يمنع إنشاء كلية الطب أو الصيدلة وأيضا إن هناك تعاوناً سابقاً بين هذه الجامعات ومعهد المأمون (مؤسسة المأمون الدولية) كما أن الوزارة لم تشد أبدا بالجامعة، ولا يوجد بين جامعة المأمون وتلك الجامعات الأجنبية علاقة، سيما جامعة ساندرلاند. كما إن الوزارة وجهت لها أكثر من إنذار وصلت إلى إيقاف التسجيل في الجامعة. وعليه فإن إعلانات جامعة المأمون والمعلومات التي تحويها، لا تتعدى كونها نوعا من أنواع الدعاية الرمادية والعلاقات العامة، هذا بالإضافة إلى الإعلان عن افتتاح فرعي الهندسة الزراعية وهندسة البترول، وهذه الأخيرة لقيت إقبالا من الطلبة، ولكن بعد انقضاء الفصل الدراسي الأول تبين أن الجامعة غير مؤهلة لافتتاح هذا الفرع مما أدى إلى تغيير الفروع التي سجل فيها الطلاب بشكل إجباري دون تعويض!!

مفاجأة مالية بانتظاركم

أيا كان الموقف من رسم التسجيل في جامعة المأمون فهو معلن وواضح للجميع، الجامعة لاتجبر أحدا على التسجيل عندها، ونسجل لها (كرمها الحاتمي) باتباع نظام التقسيط في دفع الرسوم، فالموارد المالية للكثير من أبناء المحافظة موسمية، لكننا نأخذ على الجامعة الكثير من الرسوم المالية التي تأتي تحت مسميات مختلفة: رسم خدمات جامعية، وتقديره الوسطي سنويا ٢٥٠٠٠، وهو رقم كبير مقارنة بالتسجيل على المقررات، ناهيك عن رسوم أخرى من قبيل رسوم مصدقة وثيقة الدوام، الانتقال إلى قسم جديد – الانترنيت علما أن صاحب الجامعة أكد في معظم لقاءاته مع الطلبة بان الخدمات مجانية ليفاجأ الطالب عند التسجيل بأن مفاجأة حقيقية كانت بانتظاره بالإضافة إلى رسم الكتاب الجامعي ١٥٠٠ ليرة وهو إلزامي مع العلم أن الطالب يعتمد في قراءته بشكل رئيس على المحاضرات ويمكنه الاستغناء عن الكتاب– خطوة لابد منها يتراوح رسم التسجيل للمادة الواحدة بين (٩٠٠٠– ١٢٠٠٠) ل س فالجامعة تتبع نظام الساعات المعتمدة، وتكمن المشكلة هنا أن الطالب يضطر إلى دفع نفس المبلغ في حال الرسوب، وهو عبء ثقيل اشتكى منه الطلاب وطالبوا بتخفيضه إلى نصف القيمة كما هو متعارف عليه، هذا المطلب نقلناه إلى إدارة الجامعة الدكتور مهند طالب ووعد بان يصدر قرار التخفيض قريبا..

الجامعات والهيئات المتعاونة

نطالع في موقع الجامعة الالكتروني صفحة تذكر اسم ١٧ جامعة وهيئة علمية عربية ودولية وكلها تحت عنوان جامعات وهيئات متعاونة وهو موضوع غامض لم نتمكن من معرفة حقيقته فالجامعة تؤكد علاقتها العلمية مع هذه الهيئات علما بانها لم تزودنا بصورة أي عقد أو اتفاقية مع أي من هذه الجهات، رغم طلبنا لقطع الشك باليقين... ونحن لا نفهم هنا ما علاقة جامعة المأمون بمدرسة هامبستيد البريطانية مثلا هذا مع العلم أن شكوى سابقة رفعت إلى وزارة التعليم العالي تنفي أية علاقة للجامعة مع معظم هذه الجامعات والهيئات العلمية المذكورة وعدا عن ذلك بعضها غير معترف بها في بلدها على كل حال نسأل مرة أخرى عن الحقيقة فهل من مجيب؟

لن تسمع الجرة لصرخة العطشان!

كتب الكثير عن جامعة المأمون الخاصة بين مدح وذم، بين حقيقة وتجني... ونحن حاولنا انتهاج الموضوعية في تحقيقنا، فتحنا لهم أوراقنا البيضاء، وقلوبنا، والتقينا بالإدارة وحاورتنا، ولكن بين رأي الإدارة ورأي الطلبة من مختلف الاختصاصات، و(الانتماءات) حلقات مفقودة نعتقد بضرورة تدخل وزارة التعليم العالي لا عن طريق المراسلات وما أكثرها بل هي دعوة مكررة لتشكيل لجنة والاطلاع على الواقع نزولا عند رغبة الطلاب وهم الأدرى بواقعهم، ودعوة لان يكون هناك ممثل دائم للوزارة في كل جامعة خاصة، غير ملوث اليد والوجدان، قادر على حماية شرف العلم كقيمة أخلاقية ووطنية...لا أن تبقى هذه الجامعات إقطاعات يتحكم بها أصحاب رؤوس الأموال التي يأتي العلم غالبا في الدرجة الأخيرة من اهتمامها ..

تعا... نحسبها...

تعبد مدننا شوارعها كل ٤٠٥ سنوات، والسبب تآكل في إسفلت الشارع... وأيضاً تعرضها لمرور كثيف من السيارات بأوزانها المختلفة، إضافة لعوامل أخرى منها مناخية، بشرية، إصلاحات وطوارىء و...

تُرتب دورية هذا العمل تكاليف نجملها تقريبياً...

– كلفة قشر الشوارع وترحيل الناتج. والتقدير هنا حوالي ١٢٥ ل.س /م٢ كل ٤٠٥ سنة ...

– قميص زفت جديد. والتقدير هنا ١٢٥ ل.س/م٢ كل ٤٠٥ سنة ...

– ارتفاع مستوى الشارع لمستوى متقارب مع الأرصفة المحيطة بجانبي الشارع... يحتم رفع مستوى الأرصفة بعد مرات عديدة من عملية قشر/تزفيت (كل ١٠سنوات) وكلفة رفع الرصيف ورصفه من جديد حوالي ٤٠٠ ل.س/م٢، تضاف لكلفة تزفيت الشارع لكل مرة يتسبب بها رفع الشارع برفع مستوى الرصيف... والتقدير الإضافي لكلفة المتر المربع من القشر/تزفيت هي ٢٤٠ ل.س كل ١٠سنوات، أي ١٢٠ ل.س كل ٥ سنوات...

– يؤدي رفع الرصيف لضرر آخر في منسوب مداخل الأبنية المحيطة... تضاف للتكاليف السابقة وتقدر بـ حوالي ٥٠ ل.س لكل متر مربع تزفيت...وتكون الكلفة الإجمالية كل ٤٠٥ سنة لكل م٢ هي: ٤٢٠ ل.س موزعة : ١٢٥ ل.س قشر+١٢٥ ل.س تزفيت+١٢٠ ل.س تغيير مستو الأرصفة +٥٠ ل.س تغيير مستوى مدخل الأبنية المحيطة = ٤٢٠ ل.س

وعلى المدى الطويل، وإذا ما استبدلنا عملية القشر/ تزفيت كل عدة سنوات بعملية رصف الشوارع غير الرئيسية وذات العرض الضيق بالحجارة المتوفرة محلياً وبكثرة فالكلفة هي:

– كلفة البازلت وهي ٥٥٠ ل.س /م٢ وأبعاد الحجر الواحد هي ١٠×٢٠ سم والارتفاع ٨ سم ... أو أكبر.

– أجور نقل وتركيب ١٥٠ ل.س/م٢

– كلفة مواد بناء واحتياجات أخرى ١٥٠ ل.س/م٢ ...

والإجمالي لرصف الطريق هو: ٨٥٠ ل.س/م٢

ميزات الحجر... المتانة، الجودة، الجمال، مرونته بإمكانية استخدامه لمرات عديدة دون أن يفقد أي من مواصفاته... خاصة عند أي عملية إصلاح في الطريق. مكاسب معنوية كبيرة لما يضيفه من جمالية وأناقة... توفير مادي ملموس، إذا ما قورن بعمر الحجر وبإمكانية الاستغناء عن كل من عمليتي التزفيت والدهان الدورية لوسط وجانبي الطريق... والقيام برصف الحجارة البيضاء والصفراء كمحددات مرورية لا يتغير لونها ... هذا ويمكن أن تعمم هذه العملية على القرى والريف والمدن الصغيرة... لنعيد لها جزءاً من طابعها وهويتها بعد أن فقدت الكثير من معظم ميزاتها الجمالية...

والذاتية ...

taanhsubah@kassioun.org ■

مشفى البيروني.. وسياسة هدر المال العام!!

هناك موضوع قد يبدو بسيطاً في معطياته ولكنه غريب في بديهياته، وعجيب في نتائجه الوخيمة التي تجعلنا كمواطنين نسأل دائما: ماهي المقاييس المتبعة في تعيين المدراء؟ وأخشى أن تكون الإجابة: بمقدار ما يظهر هذا المدير من قدرة وتميز على الاختلاس العلني أو المبطن!!

ودخولاً في الموضوع، فمشفى البيروني هو محطتنا، وموظفون وعماله يغدون ويروحون إلى منازلهم بواسطة ميكروباصات متوسطة، تتسع (كما يفترض) لـ٢٤ راكباً.. وهذه الميكروباصات حقيقة لا تتعدى الثمانية، إضافة إلى سرفيسين كل منهما سعته ١٤ راكباً، وهذا مخالف للعقود الموقعة مع المتعهدين والتي تنص على التخديم بـ ١٤ باصاً متوسط السعة، وللعلم فإن من ضمن المتعاقدين يوجد أخطبوط صغير تمثلت أرجله بداية بـ٤ باصات يمتلكها، وغدا هذا الأخطبوط مرعبا مع مطلع ٢٠٠٧ عندما جاء المدير الإداري الجديد (بل جيء به) وألغى العقود السابقة دون

مبرر قانوني، وتعاقد مع هذا الأخطبوط (تفاهم معه بالأحرى)، فغدا متعهداً لخطوط المبيت الـ١٤ جميعها!

إلى هنا الفساد في قضيتنا قد يكون بسيطا، ولكن لا تنسوا أن البسيط في هذه الحالة رائحته أنتن من المعقد، لأنه يتحول بسرعة كما أخطبوط قصتنا إلى معقد وكبير....

فإذا علمنا أن البدل النقدي في عقود ٢٠٠٦ كانت لأقصر الخطوط تبلغ ١٥٠٠ ل.س يوميا عبر رحلتين صباحية ومسائية (طبعا هناك قيم أكبر من هذا المبلغ ولكن لنأخذ الأدنى لنفهم الأعلى)، فطالما هي ١٤ جولة (وهي ليست كذلك وهذه بهارات إضافية) وبأخذ وسطي قيمة كل عقد أو جولة هو ١٥٠٠ ل.س، فعندئذ يصبح المجموع اليومي ٢١٠٠٠ ل.س، وبالتالي فالشهري ٦٣٠٠٠٠ ل.س، والسنوي ٧٥٦٠٠٠٠ ل.س..واحسبوها يا مواطنين!!

أما كان بإمكان السادة المدراء الفطاحل المتعاقبين أن يشتروا باصا متوسطا كل شهر أو شهرين، ويبقى للمشفى بشكل دائم؟؟

ما زالت الباصات ثمانية يضاف إليها سرفيسان مخالفان.. والأجور تدفع عن ١٤ باص متوسط!! فإذا رغب أحد من أصحاب العلاقة، وأصحاب الحل والربط معرفة المزيد، فبإمكاننا أن ندله على أحد السائقين من بقايا عقود ٢٠٠٦ ليحدثه عما هو أخطر من كل ما ورد!!

■ المهندس صباح

القضاء ينتصر لـ«قاسيون» في حربها على الفساد..

جاء القرار الصادر مؤخراً بتبرئة صحيفة قاسيون في الدعوى المرفوعة ضدها من مدير المشفى الوطني بحماة وجهات أخرى، والتي طالبوا فيها بمعاقبة الصحيفة والقيمين عليها، وتغريمهم بمبالغ طائلة، ليؤكد صوابية توجهات الصحيفة وموضوعيتها، وليؤازر انحيازها لقضايا الوطن ومصالح المواطنين وسلامة المؤسسات العامة إدارة وتوجهاً وأهدافاً.

وقد أكد النائب العام في سياق قراره القضائي في رد الدعوى وتبرئة «قاسيون» أنه (لم ينهض لدينا أي دليل في هذه القضية أن جريدة قاسيون غير مرخصة، خاصة وقد صدر منها أعداد لا بأس بها بلغت (حتى تاريخ رفع الدعوى) ٢٤٠ عدداً، وقد ذيلت الصفحة بأنها تصدر عن الشيوعيين السوريين بناء على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب بتاريخ ٢٠٠٣/١٢/١٨، وحيث أن صدورها علني وتوزع بشكل علني فهذا يعني أن السلطات على علم بهذه الجريدة وبصدورها ....).

وكانت «قاسيون» قد نشرت في عددها ٢٤٠ تحقيقاً واسعاً عن المشفى الوطني بحماة، أشارت فيه إلى مجموعة من مواقع الخلل الإداري وتجاوز القانون الجاري في المشفى، الأمر الذي لاقى قبولاً جماهيرياً واسعاً وخاصة في محافظة حماة..

الشكر للقضاء، وعهدنا للوطن والناس أن نستمر في رسالتنا الإعلامية الوطنية الصادقة، رقيبنا ضميرنا، وهدفنا الدائم الكشف عن الحقيقة، وشعارنا الأساس هو: كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار.

■■

يا هيك المؤتمرات الطلابية.. يا بلا!!

ما حصل في المؤتمر الطلابي لطلاب المعهد العالي للفنون المسرحية، والمعهد العالي للموسيقا في ٢٠٠٧/٢/٢١، كان مفاجئاً لجميع الطلاب، حيث تم مسبقاً تحديد أعضاء المؤتمر (أي الذين يحق لهم حضور المؤتمر والمداخلة والانتخاب) بشكل عشوائي؟ وبغير علم الطلاب.

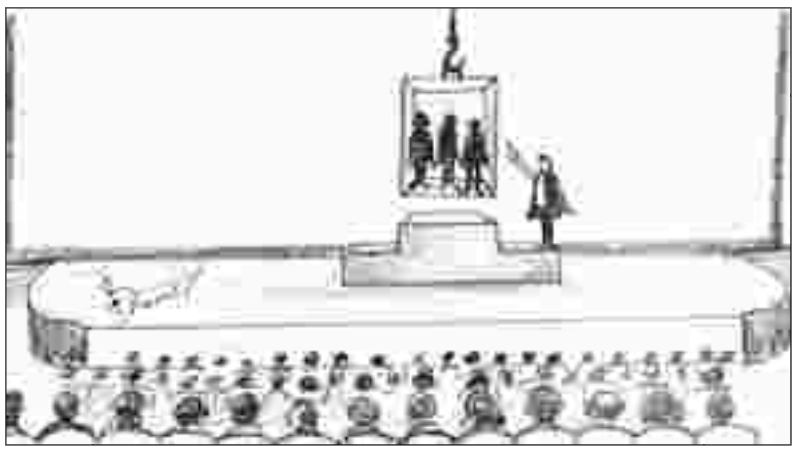

ولدى سؤال رئيس الهيئة الادارية في المعهد عن الأساس الذي تم من خلاله تحديد أعضاء المؤتمر، أجاب بأنه وضع في نهاية الفصل الأول، أي خلال فترة الامتحانات، إعلاناً لمن يود أن يرشح نفسه لعضوية المؤتمر، ولكن أحداً لم يستجب، فسمح لنفسه بتحديد أعضاء المؤتمر بالشكل الذي يراه هو مناسباً!

خلال المؤتمر المفاجئ تم توزيع تقرير سياسي وآخر نقابي ولم تتم قراءة أي منهما، بل فوجئ الطلاب بفتح باب المناقشة والمداخلات فوراً قبل أن يستطيعوا الاطلاع على التقريرين المذكورين، الأمر الذي لم يسمح لأحد بمناقشة ما ورد فيهما!!.

ومع ذلك فقد داخل العديد من الطلاب حول مشكلاتهم في المعهدان – والتي كانوا قد ذكروها مراراً في كل اجتماع يحصل مع الإدارة أو الهيئة الادارية – فتحدث البعض منهم عن عدم الحصول على المنح الدراسية إلى الخارج، لأن هذه المنح تصدر من وزارة التعليم العالي، والمعهدين يتبعان إلى وزارة الثقافة الأمر الذي يجعل طلاب المعهدين من الدرجة الثانية في هذا المجال.

وقد أجاب السيد معاون وزير الثقافة بأن هذه المنح غير مسؤولين عنها لأنها تصدر عن وزارة التعليم العالي التي بدأت تقلص عدد البعثات بسبب التكلفة المادية الضخمة، فالظلم لايقع على طلاب المعهدين فقط وإنما على جميع الطلاب في الجامعات، وكأنه يقول بأن الأمر هو أمر واقع ويجب أن يتقبله الطلاب دون احتجاج.

وتحدث الطلاب عن معاناتهم في السكن، وأكدوا أنهم لايحصلون على سكن جامعي إلا بعد مرور شهرين من العام الدراسي، وبما أن الدوام في المعهدين إلزامي فقد عانى الطلاب خلال هذين الشهرين من التشرد الحقيقي.. وقد رد عضو المكتب الاداري على ذلك، بأن المعهد العالي للموسيقا حصل على غرفتين، والمعهد العالي للفنون المسرحية حصل على أربع غرف، علماً بأن الطلاب أكدوا بأنه لم يتم تسليم طلاب (المسرحي) سوى غرفتين فقط!!..

وتحدثت إحدى الطالبات عن الرسم الذي يضطر الطلاب لدفعه لحضور أي نشاط ثقافي يحصل في دار الأوبرا، وأوردت بأن هذه النشاطات هي من صلب دراستهم وأنهم مضطرون لحضور هذه النشاطات، وبالرغم من وجود حسم للطلاب فإن التكلفة تبقى مرتفعة بالنسبة لطالب يضطر لحضور ثلاثة نشاطات في الشهر على الأقل، وطالبت أن يكون حضور هذه النشاطات مجاناً لطلاب المعهدين لأنها تصب في سياق دراستهم وعملهم.

وذكّر بعض طلاب المعهد العالي للفنون المسرحية بمشاركتهم بعروض في المهرجان المسرحي بدمشق، حيث لم يحصلوا على مكافآتهم حتى الآن، ومنهم من قام بتصميم وتنفيذ ديكور لعروض المسرحية، ولكنهم قبضوا أجوراً على أساس أنهم منفذون فقط للديكور دون أن يدافع أحد عن حقهم المشروع لقاء عملهم.

وكانت المشكلة الأكبر التي أثارت جدلاً كبيراً بين الطلاب والإدارة، مشكلة عدم توفر الأماكن الكافية وقاعات التدريب لكلا المعهدين، حيث يعاني معظم طلاب المعهد الموسيقي من عدم وجود قاعات فارغة للتمرين، مما يضطر الكثيرين منهم للتمرن في الممرات، الأمر الذي يؤثر سلباً في البروفات في استوديوهات التمثيل، وعلى الدروس في القاعات الأخرى في الطابقين، بالإضافة إلى تضارب مواعيد الدروس والبروفات في القاعة الوحيدة التي تستخدم في تمرينات الأوركسترا، ودروس الليونة لطلاب التمثيل ودروس الرقص لطلاب الباليه معاً. وقد رد السيد معاون الوزير على هذا الأمر (بأنهم) يسعون جاهدين لإيجاد بدائل، وأن مشكلة الأماكن موجودة في كل المؤسسات الحكومية وليس فقط في المعهد ولا ندري إن كان يقصد بذلك تطييب خاطر الطلاب من خلال تذكيرهم بأنهم ليسوا الوحيدين في سورية الذين يعانون من هذا الأمر!!

أما بالنسبة للتقرير السياسي المقدم من الاتحاد الوطني لطلبة سورية، فتحدث في معظمه عن المنجزات الاقتصادية المحققة من خلال عملية الاصلاح الاقتصادي..

فأي منجزات هذه، هل ارتفاع الأسعار المستمر، والخصخصة، وانخفاض مستوى معيشة الفرد، وزيادة عدد الخريجين العاطلين عن العمل هو الإصلاح الذي عنته قيادة الاتحاد الوطني لطلبة سورية في تقريرها؟؟!!

ويتابع التقرير سرده الإخباري للواقع السياسي دون وجود أي تحليل سياسي للأزمة الأمريكية وأهدافها في المنطقة ومشروعها التفتيتي.

وفي النهاية تطرق التقرير لضرورة مواجهة التحديات والتمسك بأرضنا، دون تحديد آليات ذلك، وتجاهل وجود الفساد المستشري في بلدنا.

■■

بصراحة

تساؤلات لا بد منها

إن تصاعد الاتهامات للطبقة العاملة السورية وتحميلها مسؤولية الخسارات في الشركات ليس بريئاً كما نعتقد، وليس جديداً أيضاً، وخاصة اتهامها بأن شغلها الشاغل المطالبة بزيادة أجورها، وإن إنتاجية العامل السوري ١٨ دقيقة في الساعة، مما سيمهد لإجراءات قد تقدم عليها الجهات الوصائية للانقضاض على حقوق العمال الواحد تلو الآخر ونذر ذلك بدأت بالظهور من خلال القانون الجديد المزمع إصداره للقطاع العام الصناعي، وخاصة فيما يتعلق بعدم حصول العمال على حوافزهم الإنتاجية إلا على أساس الإنتاج المسوق، ولا نعلم على أي أساس جرى إقرار هذا البند القراقوشي الذي يحرم العمال من حقهم في الحوافز الإنتاجية على أساس الإنتاج كما يقره الآن قانون الحوافز الإنتاجية المعمول به، والذي يحتاج أيضاً إلى إعادة دراسة.

والقضية الأخرى حق الإدارة بنقل العامل من مكان عمله إلى مكان آخر، وهو سلاح قد تستخدمه الإدارات بصورة سيئة ومجحفة. وقد استخدم «النقل» في بعض الشركات الإنشائية وفرض على العمال الذين حرضوا على الإضرابات أو الاعتصامات التي جرت من أجل دفع أجورهم المستحقة المتأخرة.

إن مطالبة العمال بزيادة أجورهم حق تكفله لهم اتفاقيات العمل العربية والدولية، طالما أن أجورهم التي يتقاضونها غير متناسبة مع مستوى معيشتهم، وإن تحميلهم المسؤولية عن نسب الإنتاج المتدنية هو لتبرير سلوك تلك الإدارات الفاشلة..

من حقنا أن نتساءل:

١. هل العمال مسؤولون عن وضع الخطط الإنتاجية والتسويقية، ودراسة الأسواق وما يناسبها من أنواع السلع التي ستنتج؟؟

٢. هل العمال مسؤولون عن وضع الخطط الاستثمارية لتجديد خطوط الإنتاج وعقد الصفقات بجلب الآلات ذات المواصفات الإنتاجية العالية والمفروض أن تساهم في رفع نسب الخطط الإنتاجية وبجودة عالية؟؟

٣. هل العمال مسؤولون عن نوعية المنتج إن كان نمطياً أو متوافقاً مع الأسواق.

٤. هل العمال يقررون وضع خطط اليد العاملة وتدريبها وتأهيلها؟

٥. هل العمال من يضعون خطط الصيانة بكل أنواعها لتبقى الآلات تنتج دون توقفات كما هو الآن؟؟

العمال ليسوا مسؤولين عن كل تقدم، وإذا كان المقصود بالعمال هم النقابيون باللجان الإدارية، فإن قيادة الاتحاد هي التي تقوم بتسميتهم وتعيينهم، وبالتالي هي المسؤولة عن محاسبة البعض منهم عن ممارساته المتواطئة مع الإدارات والمصادقة على كل ما تطرحه هذه الإدارات، وهنا تستذكر ما قاله نائب رئيس الاتحاد: (عوامل الربح متوفرة، وأسباب الخسارة هي الإدارة وجهازها الإداري بما فيه العمال).

يمكن القول بناء على ما سبق: إن ممثلي النقابات في اللجان الإدارية لا بد أن يكونوا منتخبين من هيئاتهم القاعدية التي تمنحهم ثقتها وستطيع أن تسحب هذه الثقة إذا كان النقابي ليس أهلاً لها، وبهذا يمكن أن تحقق الرقابة العمالية المباشرة على سلوك النقابيين في اللجان الإدارية وخارجها، وتستطيع أن تمنع عمليات النهب بحلقاته المختلفة، لأن العمال هم أصحاب مصلحة حقيقية بمواجهة النهب والفساد، وباستمرار عمل الشركات و المعامل بصورة جيدة مما سينعكس بالضرورة على مكاسبهم وحقوقهم التي أقر بها القانون.

■ **عادل ياسين**

نقابيو الحسكة: أين العسل الموعود يا اقتصاديي السوق؟

على الرغم من خصوصية كل محافظة في مؤتمراتها النقابية وما يطرحه العمال في مؤتمراتهم إلا أن هناك هماً مشتركاً بين جميع عمال الوطن، وهواجس مشتركة يجمعهم بها حب هذا الوطن وبناؤه وتطويره اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً من خلال تأمين ظرف العيش الكريم لهم ولأبنائهم.

حيث عبروا عن ذلك في مؤتمراتهم وتنادوا لتحقيق حقوقهم ومطالبهم التي هي بالأصل حقوق لهم، غير أن القوانين وتعليماتها التنفيذية والإجرائية أهملتها ولم تلحظها..

فقد أكدت معظم المداخلات على ضرورة زيادة الأجور بما يوازي ارتفاعات الأسعار، وكذلك الوجبة الغذائية الداعمة للعمال المستحقين فعلاً، وأيضاً على ضرورة الأمن الصناعي والسلامة المهنية، والضمان الصحي للعاملين، وتعويض طبيعة العمل، وأظهروا غيرتهم على العمل ومكان العمل وأدواته وآلياته ومنشآته.

ولم ينسوا الفساد والفاسدين وضرورة فضحهم وضربهم وحذروا من السياسات الحكومية المتبعة في المجال الاقتصادي والاجتماعي المناهضة لمصالح العمال.

ففي مداخلة النقابي بهجت اسماعيل من نقابة المواد الغذائية قال: إن اقتصاد السوق الاجتماعي الذي صُور لنا بأنه اقتصاد العسل واللبن تبين لنا أنه اقتصاد البيضة بـ٥ ليرات واقتصاد البندورة بـ٥٠ ليرة واقتصاد تحرير الأسعار ووضع الأجور في الثلاجة وتحرير كل شيء ما عدا الإنسان، وأضاف مؤكداً ضرورة حق الإضراب للطبقة العاملة للدفاع عن حقوقها الطبيعية والوطنية في ظل هذه السياسات الليبرالية وختم بالقول إن السياسات الاقتصادية المتبعة وما تلحقه من أضرار بمصالح الطبقة العاملة، تؤكد أن الحكومة والطبقة العاملة ليسا فريق عمل واحد.

نقابة عمال الاستصلاح:

استغرب النقابي أحمد عثمان سلوك الفريق الاقتصادي الحكومي الذي يسير باتجاه إلغاء الدعم عن المواد الأساسية التي تهم الجماهير الشعبية، ورفع الأسعار، وإضعاف دور الدولة، ومواردها باللجوء إلى الخصخصة في وقت تنقل فيه الحكومات التي يهمها مصالح جماهيرها إلى تأميم ما خصخص سابقاً.

وحملها مسؤولية سوء الوضع المعاشي وزيادة البطالة، وأضاف إن كل هذا لا يخدم صمود الوطن ويضعف من مقاومته وهو شكل آخر مما يخطط له في الخارج وينفذ عن طريق أدواته الداخلية.

نقابة عمال البناء والأخشاب:

النقابي أشرف فتاح قال: أصبح الفساد عندنا في سورية مؤسسة متكاملة ونظاماً متماسكاً، حتى صار الفساد عندنا خبرة امتدت عقوداً طويلة لها خبراؤها ولها مرافق حمايتها ولها قواعد وبرتوكولات وأصول عمل، وأصبح لها حماية قانونية عبر العديد من القوانين والمراسيم.

وأضاف متسائلا:

- ما الذي يمنع إلزام جميع الجهات قانونياً من تطبيق الطبابة المجانية للعمال في القطاعين الخاص والعام.
- ما الذي يمنع ضمان حقوق عمال القطاع الخاص بقانون يضمن حقوقهم الطبيعية في الزيادات الدورية والإجازات والعطل.
- ما الذي يمنع إلزام أرباب العمل بتأمين العمال اجتماعياً برواتبهم الحقيقية ومنع الاستقالات وبراءة الذمة المسبقة في القطاع الخاص.
- ما الذي يمنع ربط الأجور بالأسعار.
- ما الذي يمنع حل مشكلة المجردين الأكراد السوريين من الجنسية وما يلحقه من ضرر كبير لهذه الشريحة الواسعة من أبناء الوطن.
- ما الذي يمنع محاسبة الحكومة قانونياً لكيلها بمكيالين مختلفين مكيال أصحاب الرساميل والثروات ومكيال أصحاب الدخل المحدود.

بين مؤتمر نقابة النقل البري بدير الزور.. ومديرية النقل.. حقائق غائبة

عقدت نقابة عمال النقل البري في دير الزور مؤتمرها في ظل القيادة النقابية الجديدة التي حلت محل المكتب السابق الذي حل مع نقابة عمال النفط وسبق أن تناولته قاسيون في «الحل ليس حلاً» وقد عرض العامل بسيس الدرويش مشكلة مركز انطلاق الميادين وأنه لا يوجد إلاّ هو بعد استبعاد اثنين من قبل اللجنة التي ترأسها «هدى مليحي» والمكلفة من الاتحاد العام، وأنه منذ الشهر الخامس لا يتقاضى تعويضاً أو مساعدة أو مكافأة، لأن العاملين في المراكز مكلفون من قبل الاتحاد وليسوا موظفين رسميين أو متعاقدين، وأن بلدية الميادين حاولت انتزاع إدارة المركز وإعطاءه للقطاع الخاص لكن الاتحاد تمسك بحقه القانوني، ويجب الإسراع بتوقيع العقد بين الاتحاد والبلدية.

أما العامل علاء الدين فرحان من مركز انطلاق البوكمال/ حزب الوحدويين الاشتراكيين/ فقد طالب تحسين طريق دير الزور البوكمال وتنصيفه بخط أبيض، وطرح زيادة أجرة الراكب أكثر من ٥٥ ل.س وأيده رئيس مكتب النقابة.. ورئيس الاتحاد المهني عامر شكري؟ وأن التسعيرة منذ عام ١٩٤٤؟؟.

ويبدو أن معاناة العاملين في مراكز الانطلاق واحدة، فكمال ياسين من البوكمال نفس الطروحات أما نصر الفرحان من مديرية النقل فشكى من تكرار المطالب وعدم معاملتهم كعمال شركة الطيران صحياً.. ومن حيث اللباس الذي يتراوح فيها بين ١٢/١٠ ألف، وأن العاملين في المديرية يقومون بجباية الأموال عند التسجيل وغيره وليس لهم نسبة من الجباية كعمال المالية، وشكا من نقص العاملين.

وكذلك مدرسة قيادة المركبات فالاثنان يفتقدان ذلك بالإضافة لنقص الآليات.

وقد أيد مدير النقل وعضو المكتب التنفيذي خالد رمضان ورئيس النقابة زياد مزعل المطالب لكن ما يثير التساؤل أن قضيتين مهمتين لم تطرحا:

الأولى: حل المكتب السابق وظروف الحل..

الثانية: مسألة الفساد الموجودة في المديرية، ومعروف أن هناك «ستة عاملين» موقوفون، وفي حوار خارج المؤتمر مع مدير النقل سألناه عن القضية (وهو معروف بنزاهته وقد استلم حديثاً الإدارة بيّن أنه تحدث عن النقص في العاملين، وطرح أن هذه المسألة يجب أن تكون من أعضاء المؤتمر أو النقابة، وشدد على المعقبين ومكاتبهم ودورهم، ونتيجة ذلك قام أصحاب المكاتب بأعمال كيدية نتيجة توقيف بعضهم من الأمن الجنائي، بالإدعاء أن شرطة المرور يحصلون على ٥٠ ل.س كرشوة عن كل معاملة.

وبالتحقيق مع المرور قالوا أن هناك من يأخذ ٥٠٠ على المعاملة، وهناك بعض العاملين يملكون سيارات وشقق!، ومهندسون رؤساء أقسام ليس لهم إلاّ راتبهم؟؟

وأن هناك من الموقوفين من هو بريء حقاً.. والبعض يحتاج الحديث عنهم إلى جلسة مطولة؟ ووعدنا بلقاء آخر.

ونحن إذ نشكر مدير النقل على حديثه نستغرب أيضاً سبب عدم طرح هاتين المسألتين من قبل اللجنة والمؤتمرين ومكتب النقابة.. وخاصة أن اتحاد العمال عليه دور مهم في محاربة الفساد والمفسدين لحماية حقوق الوطن والمواطن واقتصار الطروحات على قضايا شخصية.

وقد نوه رئيس الاتحاد المهني إلى ذلك متسائلاً: لماذا لم تطرح أمور المهنة كحوادث السير وغيرها وضرب مثلاً «نحن مؤمنون في شركة الضمان وعند حدوث حادث نفاجأ بأن التأمينات تضع إشارة حجز على السيارة التي يعتبر فيها السائق موظفاً.. ونحن ليس لنا علاقة طالما هناك تأمين..»

كما وضح مسألة «الصندوق الأسود» وفائدته وتسعيرته..والبحث عن الأقل تكلفة.

وكان من بين الطروحات وضع السيارات التي تعمل من خارج مركز الانطلاق.

■ **مراسل قاسيون- دير الزور**

النقل البري بدمشق: هجوم الوزارة مستمر!

قدم رئيس مكتب عمال النقل البري حمد علي الراز في مؤتمر النقابة مداخلة هامة تحدث فيها عن معاناة هذه النقابة من حيث الهجوم الذي تشنه وزارة النقل على حقوق النقابة حيث قال:

إننا في المنظمة النقابية نواجه تلك المحاولات الرامية إلى سحب توثيق العقود من النقابة، باسم تبسيط الإجراءات وكأننا مع تعقيد الإجراءات، بالعكس تماماً فإن من يحاولون سحب هذا الحق هم من يعقدون الإجراءات، إذ يحرمون آلاف العمال وأسرهم من حقهم في المساعدات والإعانات العمالية التي واظب مكتب النقابة على توفيرها منذ أكثر من خمسين عاماً.

وتابعت المداخلة: إن هذا الهجوم على مكاسب وحقوق العمال قد بدأ منذ خمس سنوات ونيف ولقد حاولنا بكل الطرق القانونية أن نبين للسادة المصممين على سحب هذا لحق أننا لن نتخلى عن حقوق عمالنا.

وقد أشارت المداخلة أيضاً إلى واقع المرور في مدينة دمشق وعلى غياب وسائل النقل الجماعي وتراجع الشركة العامة للنقل والغياب الكلي لشركة الكرنك.

معظم المداخلات التي ألقاها النقابيون في المؤتمر جاءت متفقة مع ما طرحته مداخلة مكتب النقابة ولكن اللجان النقابية في شركة الكرنك كانت متباينة عن بقية المداخلات بسبب قيام الحكومة بإصدار مرسوم حل هذه الشركة وتوزيع عمالها على جهات عدة مع الاحتفاظ بحقوقهم، ولكن اللافت للنظر حسب الوثائق التي عرضها رئيس اللجنة النقابية على المؤتمر أن مجلس السياحة الأعلى قد أصدر قراراً بإعادة إحداث الشركة مرة أخرى بمجلس إدارة جديد وعمال جدد برواتب جيدة، وتساءل رئيس اللجنة أليس عمال الكرنك السابقون أحق ببقائهم في شركتهم واستمرار عمل شركة الكرنك القديمة حيث اقترح عدة حلول من أجل أن تعود الشركة إلى سابق عهدها لتلعب دورها في حل أزمة النقل. المقترحات هي:

١ - بيع أراضي الشركة لتحديث أسطولها. ٢ - إعطاؤها قرضاً مالياً.

د. ختام تميم في محاضرة عن السكن العشوائي..

هل سيؤمن مشروع «يعفور» السكن للفقراء؟؟

ضمن الفعاليات الأسبوعية لجمعية العلوم الاقتصادية قدمت د. ختام تميم محاضرة في مكتبة الأسد يوم الثلاثاء ٢٠٠٧/٢/٢٧ بعنوان «الإسكان وقانون الاستملاك والسكن العشوائي» أكدت فيها أن مشكلة تأمين السكن الملائم الدائم التي تعاني منها معظم بلدان العالم، ليست إلا انعكاساً لقصور برنامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتعبيراً عن إحدى نتائج التوزيع غير العادل للخيرات المادية لهذه البلدان ضمن البلد الواحد، وعلى مستوى العالم، وما يبرر القول في خطورة هذه المشكلة هو أهمية المسكن في تكوين لإنسان.

ورأت أن أهم أسباب نشوء السكن العشوائي:

النمو السكاني المتسارع، زيادة الطلب على السكن، قصور برامج التنمية والتخطيط الاقتصادي عن تلبية حاجات النمو السكاني، وارتفاع حدة البطالة، والهجرة الداخلية من الريف إلى الحضر، وفتوة المجتمع السوري، وارتفاع حدة الفقر لدى الغالبية من المجتمع السوري، حيث يبلغ ١١.٤٪ من سكان سورية هم تحت خط الفقر الأدنى، وانخفاض معدل النمو الاقتصادي.

وأكدت د. تميم أن ما زاد من تفاقم المشكلة تجاهل الجهات المعنية لهذه المسألة التي سادت معظم محافظات سورية، وأن الإجراءات والقرارات الحكومية تمثلت في استفادة بعض القائمين على الوحدات الإدارية والبلديات، والدوائر الفنية من ذلك، من خلال ارتفاع الرشوة وشراء ذمم البعض في تلك الجهات، وسألت: أين الجدوى من إصدار القرارات والقوانين، وتخصيص لقاءات واجتماعات في مجلس الوزراء، ومجلس الشعب إلى آخره من مجالس رسمية طالما أن الفساد ما يزال سائداً؟

وبينت د. تميم أن الوضع الراهن للسكن العشوائي في سورية يؤكد بأنه أحد أهم المشكلات التي تواجه الحكومة السورية، وهي ما تزال دون حل منذ ثلاثة عقود.

وفي الحلول الواعدة لمعالجة السكن في سورية، تسعى الحكومة ومن خلال قانون الاستثمار العقاري إلى جلب شركات عربية وأجنبية . حيث أطلق أكثر من مشروع في هذا الاتجاه، ولكن الشريحة الكبرى من المجتمع غير قادرة على هذا النوع من السكن «فلل ومساكن ضخمة لمن»؟ حيث تبدأ الدفعة الأولى فيها بـ ٨ ملايين فقط؟؟ بينما نسبة كبيرة من الشعب السوري يعيش على أقل من دولارين في اليوم..؟

أين سيكون سكن هؤلاء؟ في مشروع يعفور، أم في تلال دمشق؟ أين محلهم من الإعراب؟ وهل سيشملهم هذان المشروعان؟

وزارة الإدارة المحلية والبيئية كانت قد أصدرت القرار ١٨٠ وسمحت بموجبه بإحداث وتشييد الأبنية البرجية والشاقولية، ولكنها ما لبثت أن تراجعت عنه بإصدار قرار حمل صفة (سري للغاية) والغريب بالأمر والسؤال أين هي الأسباب الجوهرية والمقنعة التي دفعت باتجاه إلغاء العمل بالقرار بعد مضي خمسة أشهر على صدوره؟!

تهدف الأهداف الكمية في السكن والسكن العشوائي في الخطة الخمسية العاشرة لتلبية الاحتياج الإسكاني خلال الفترة الزمنية ٢٠٠٦-٢٠١٠ إضافة لتغطية العجوزات المتراكمة من الخطط السابقة وفق ما يلي:

الاحتياج المقابل للنمو السكاني
٤٠٨ ألف وحدة سكنية
العجوزات المنقولة من الخطط السابقة
١٨٣ ألف وحدة سكنية
المساكن المخطط استبدالها
٦٣ألف وحدة سكنية
احتياطي غير ملحوظ بنسبة ٨٪من المخطط لها مقابل النمو السكاني
٣٣ألف وحدة سكنية
المجموع الكلي
٦٨٧ألف وحدة سكنية

فهل هذا ممكن التحقيق يا ترى. وما هي مرتكزاته؟ لننتظر ونرَ.

وعقب انتهاء المحاضرة قدمت بعض المداخلات..

د. عبد الحميد كيخيا قال: على كل دولة تأمين السكن الملائم لأفرادها، وهذا من أكبر التحديات التي تواجه الدول لما تتطلبه من إمكانيات مادية وتنظيمية وسياسية وإسكانية تتداخل فيها عوامل اقتصادية واجتماعية مختلفة، فتأمينه يعبر عن مؤشر قوي بنجاح أو فشل السياسات لهذه الدولة.

إن عنوان المحاضرة هو«**الإسكان وقانون الاستملاك والسكن العشوائي**» ونلاحظ أن المحاضرة لم تتطرق إلى قانون الاستملاك والتأثير السلبي له ودوره الكبير في نشوء مناطق المخالفات إذ أنه يحمل في طياته الكثير من الظلم والإجحاف بحق المواطنين، فلماذا لم تقم الحكومة بتنظيم هذه المناطق قبل نشوء هذه المخالفات؟ إن المشكلة تكمن في وضع السياسات الإسكانية التي تراعي الواقع الاقتصادي والاجتماعي المحلي وتبسيط الإجراءات ووضع البنية التشريعية المناسبة والتخلص من الأنظمة والقوانين الحالية الناظمة لعملية وضع المخططات التنظيمية والتي تعتبر السبب الرئيسي لنشوء وزيادة السكن العشوائي وكذلك ارتفاع أسعار العقارات...

د. منير الحمش: سأل: هل سيجد ساكنو الأحياء العشوائية فرصة للحصول على سكن في ما تقدمه الاستثمارات العربية والأجنبية من الشقق الفاخرة المقامة في تلال دمشق او في البوابة الثامنة؟؟؟ إنه لمن المفجع والمستغرب ان يكون نصف سكان سورية يعيشون في هذه المناطق العشوائية دون أن ينالوا الاهتمام الكافي.. هذه كارثة حقيقية!!

د. غسان طيارة: بالنسبة للمخططات التنظيمية فلا يوجد عندنا مخططات وهذه مشكلة وطنية وقد ناقشتها نقابة المهندسين كثيراً وطرحت في أكثر من مناسبة أن تقوم الجامعة ونقابة المهندسين بتشكيل فرق عمل بإشراف مهندس لوضع مخطط مدن لكن بسبب عدم رغبة الحكومة بحل هذه المشكلة كنا نلاقي رفضاً قطعياً.

فالقانون /٦٠/ الذي طبق على المحافظات أدى مباشرة إلى رفع الأراضي والمخالفات.. حتى بالريف هناك تقصير كبير في إعداد المخططات، وإذا لم تعتبرها الحكومة مسألة وطنية على مستوى القطر ستستمر لأن النمو السكاني بازدياد والسكن غير متوفر . أما بالنسبة للقرار /١٨٠/ يجب ألا نقول كيف ألغي، بل كيف صدر؟؟ لقد كان من المفروض أن يطرح للمناقشة العامة من المواطنين جميعاً، إذ لم يكن كاملاً.. إن مشكلة السكن العشوائي لن تحل إلا إذا أعطي ساكنوها سكناً مخدماً ومجانياً..

د. هناء الحسيني: نصف الأراضي الجيدة في سورية استملكت تحت مسميات السياحة وغيرها، ليستفيد أشخاص وليس الشعب السوري، وبالتالي نزعنا ملكية الشعب والمواطنين دون أي وجه حق قانوني أو دستوري، لكن مراسيم الاستملاك صدرت والسكان الدائمون يطالبون بإلغاء هذا الاستملاك الذي لا يتطلب سوى إصدار مرسوم بإلغائه لأنه منذ العام ١٩٧٥ وهو يكتم الأنفاس، إن الاستثمار الذي يتحدثون عنه لا يضيف إلى اقتصادنا أي شيء، وبالعكس فإنه سيرحل جزءاً من القيمة المضافة إلى خارج البلاد . فهل نحن بحاجة إلى مشاركة عربية لحل مشكلة السكن في بلادنا؟؟؟

■ **متابعة علي نمر**

ali@kassioun.org

تقرير سري من مخبر عتيق

... قادتني المصادفة إلى حضور المؤتمر الدولي الألف للمرتشين، والذي يُعقد كل خمس سنوات مرة، في إحدى عواصم العالم والتي هي من أكثر عواصم العالم فساداً، حيث تزدهر الرشوة، ويعيش المرتشون والراشون حياة رغيدة، ويتمتعون بنفوذ إداري، واجتماعي، وبالتأكيد اقتصادي، وإلى حد (ما) سياسي، ويشار إليهم بالبنان، ولهم تصنيفات خاصة، فهناك مرتش بنجمة واحدة، وآخر بنجمتين.. إلى أن نصل إلى النجوم العشر..!

وهذه التصنيفات تنسحب على الراشي والرائش «الوسيط بينهما»!

الحقيقة أنني كنت هناك لحضور مؤتمر دولي في نفس الفندق الذي يُعقد فيه مؤتمر المرتشين، واعتقدت أن قاعة المؤتمر الذي حضرتُ للمشاركة فيه هي القاعة التي دخلتها، وحسبت نفسي لوهلة بأنني متأخر عن الحضور، لذلك جلست في أقرب مقعد خال.

بعد برهة دخل رجلٌ آخر وجلس بجانبي الأيمن، ثم آخر جلس بالجانب الأيسر، هنا هدأت نفسي واطمأننت بأنني لست متأخراً، وبأن الافتتاح لم يبدأ بعد، فبدأت بتفرس الوجوه، والنظر إلى الناس، وإذ بي لاأعرف أحداً من الحاضرين والذين كان معظمهم من كبار السن، انتظرت قليلاً، وإذ بثلاثة رجال يدخلون من الباب الخلفي للمنصة، وجلسوا في صدر المنصة، الكبير في الوسط، واثنان ممن تبدو عليهم الوجاهة والأناقة والنظافة جلسوا عند جانبيه.

وإذ بكبيرهم يقف، ووقف الاثنان، ومن ثم جميع من في الصالة، لذا وقفت أنا أيضاً مع الواقفين..!

قال الكبير: نفتتح مؤتمرنا هذا بالوقوف دقيقة صمت على أرواح شهدائنا، ونعلن تضامننا مع كل مساجين الرشوة في العالم..!! لانفرق بين دين ومذهب، ولابين عرق وعرق آخر، ولابين امرأة ورجل.! وأضاف إن مؤتمرنا هذا يُعقد تحت شعار «يامرتشي العالم اتحدوا)!

وتابع قائلاً: إن هذا الشعار مشتق من نقاشات وطول جدل، وذلك بعد الانشقاقات التي لوحظت بين صفوف المرتشين..! وظهور بعض التيارات الجديدة، والتي تدَّعي أن الأساليب القديمة في الرشوة تعيق الحركة، وتؤثر سلباً على التطور والازدهار الإنساني، حيث أن هذه الأساليب انعكست على الانجازات الاقتصادية في العالم أجمع، ولهذا السبب فإن مقولات جديدة ذات طابع حداثي بدأت تطفو على السطح، وأن ثقافة جديدة بدأت تحتل مساحات، ويقولون إن العقل القديم لم يعد نافعاً، ونتيجة لذلك، فإن الكثير من الإخوة المرتشين قد أُدخلوا السجون، والبعض منهم أقدم على الانتحار، وذلك نتيجة للطفرة الجديدة في التكنولوجيا وتقدم العلم حيث أصبحت بعض البؤر النظيفة في الدولة تطور أدواتها الأمنية، والحقوقية، وظهرت حركات مضادة للرشوة، وصدرت توصيات من الأمم المتحدة لمكافحة الفساد «أي الرشوة» حيث تصدر الأمم المتحدة تقريراً دورياً عن ذلك، فيما دخل إلى دائرة المرتشين أناس جدد، دافعهم الطمع، وأسلوبهم هو الجشع، مما أوقع حركتنا وعلى الصعيد العالمي في «حَيْصَ بَيْصَ» وظهرت الانشقاقات والأفكار الجديدة، وهذا مادى إلى صراعات بين الإخوة المرتشين ،الأمر الذي أودى ببعضهم إلى غرف السجون، وهذه ثالثة الأثافي، إذ نحن الآن على مفترق طرق، سماته فكرية، وأخلاقية، وذاتية، وموضوعية، لها أسبابها الموجبة، ومن هنا ظهرت الانقسامات، واليوم علينا أن نعيد النظر في الفكر، والسلوك، ونحدد من جديد الأدوات والأساليب، وأرجو أن نختتم مؤتمرنا هذا، بوثيقة فكرية، ومن ثم ميثاق مشرّف للرشوة العالمية..!!

يتبع في العدد القادم!!.؟

■ **فؤاد بلاط**

ومضات سريعة

برسم المسؤولين... الغارقين في النوم

❖ أفاد مصدر مطلع في شؤون سوق الهال أن سعر كيلو غرام البطاطا في «بورصة» البطاطا مايزال يتأرجح بين ٢٤ ـ ٢٦ ل.س بالجملة.

وأكد المصدر ذاته أن رأي الحكومة حول هذا الارتفاع بالأسعار سببه زيادة دخل المواطنين وارتفاع المستوى المعاشي لهم، مما أدى إلى زيادة الطلب على المواد الغذائية ومنها مادة البطاطا!!

وبناء على ما سبق يقترح المصدر المطلع أن يسعى المواطنون في طعامهم إلى التنويع، ويقترح في هذا الصدد التوجه لتناول الخضار البرية من (قرّة وجرجير وهندبة) حيث أن سعرها أرخص وهي غير مستوردة، وذلك لتخفيف الضغط عن الأسواق!!

❖ أفاد أحد المدرسين المكلفين بساعات إضافية وهو من خارج الملاك بأن أجور الساعات التي قام وزملاؤه بتدريسها للعامين الدراسيين ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٦ و٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧ لم تصرف حتى الآن.

ويضيف أن أجور الساعات متواضعة ولكن مع ذلك هي مصدر رزقهم وهم بشر يحتاجون المال لشراء حاجاتهم وحاجات أسرهم من طعام ولباس، ويقول بالرغم من كل المطالبات بالإسراع بصرف أجور الساعات إلا أن وزارة التربية ما تزال تطنش عن الموضوع!

يذكر أن مصدراً مطلعاً في مديرية تربية حماه أفاد بأن أجور الساعات ستصرف خلال الأشهر القليلة القادمة!!

❖ صرح شاهد عيان بأن ما يجري في شوارع مدينة السقيلبية شبيه بما يجري في الأفلام الأمريكية التي تختنق بها معظم الشاشات التلفزيونية العربية، حيث أن السرقات التي تحدث الآن في شوارع المدينة فيها من التشويق والإثارة الرخيصة مايفوق ما يعرض في تلك الأفلام. ففي نهاية كل شهر وبعد صرف الرواتب والأجور تحدث تلك القرصنة وبخاصة للنساء، فما إن تنفرد سيدة في شارع مؤد إلى منزلها أو في شارع عام، حتى يظهر هؤلاء القراصنة على دراجة آلية أو سيارة أحياناً، وبسرعة كبيرة يخطفون حقيبتها من كتفها تاركين السيدة تسقط على الأرض تنزف الدماء من وجهها أو رأسها أو كتفها.

وأكد شاهد العيان ذاته أن إحدى السيدات التي سرقت بهذه الطريقة السينمائية أكدت بعد أن ساعدها البعض بالنهوض وإسعافها إلى عيادة طبية قريبة أنها ليست الوحيدة التي تعرضت لمثل هذه الحادثة ففيرها كثيرات، وعندما طلب أحد الحضور من السيدة أن تتقدم بشكوى، أجابت إنه «حتى الآن لم يُقبض على اللصوص الذين سرقوا غيري ولم تسترجع مسروقات تلك النساء، لذا أعتقد أن الشكوى لغير الله مذلة»؟!!

■ **أنور أبو حامضة - السقيلبية**

إدارة تطلّق... ومؤسسة تغلق؟! وكاسك يا وطن!!

في مداخلة النقابي حسين الرشيد رئيس لجنة كونسروة الميادين، تحدث عن مأساة معمل الميادين الحائز على جوائز عالمية ومحلية.. وتريد الآن مؤسسة المواد الغذائية إغلاقه «لخسارته» وبين عدداً من أسباب الخسارة:

١ ـ بيع علبة البندورة للتعيينات العسكرية بتخفيض ٦٥ل.س للعبوة وبيعها للمواطن بـ٩٥ .

٢ ـ عدم توفر المواد .

٣ ـ عدم توفر المستلزمات (العبوات.. وغيرها، وخاصة في المواسم).

٤ ـ منافسة القطاع الخاص الذي يبيع بـ ٦٠ ل.س للعبوة ونحن بـ٩٥ .

٥ ـ الخلافات بين الإدارة والمؤسسة واللجنة النقابية.

٦ ـ عدم توفر السيولة يؤخر تنفيذ الخطة وحتى الرواتب.

٧ ـ عدم المساواة في الحوافز ينعكس على العمال.

وقد قدمت وحدة الكونسرة خطة مشاريع لتطوير المعمل لكن إدارة المؤسسة اقترحت إيقافها وتوزيع عمالها على القطاع العام بحجة عدم إيجابية المشاريع وهي:

١ ـ مشروع وحدة خزن وتبريد تم دراسته والإعلان عنه إلا أن المؤسسة أوقفته بكتابها رقم ط/١٧١٥/٤٠ تاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٢ .

٢ ـ مشروع تعبئة مياه صحية من نهر الفرات مع جدواه الاقتصادية وتحاليله المخبرية رفع إلى المؤسسة ولم تجب عليه، وتم إعطاؤه لوحدة كونسرة إدلب.

٣ ـ مشروع معمل ألبان لم ترد المؤسسة.

٤ ـ مشروع استخراج القطر الصناعي والنشا لم ترد المؤسسة علماً أن المعمل يضم ١٠٠ عامل، ويعانون من مآس كثيرة.

كما تحدث عن مأساة العامل بشير السرهيد فئة خامسة من وحدة كونسروة الحسكة والذي يداوم الآن في كونسروة الميادين، لأن مدير كونسروة الحسكة أنور العكلة (طلّقه) طلاقاً شرعياً بعدم السماح له بالعمل، ويقوم العمال في الميادين بمساعدته لظروفه الصعبة. وقد تبنى اتحاد عمال دير الزور مذكرة وحدة الميادين، وكذلك عضو المكتب التنفيذي المركزي حسين الأحمد .. وقال رئيس اتحاد عمال دير الزور علي مطر ممازحاً العامل بشير سرهيد : المدير أنور ليس من عندنا لا تحسبوها علينا عندما تكتبون.. في قاسيون.

رئيس مكتب النقابة في دير الزور طلال عليوي نوه منبهاً أنه عندما أغلقت وحدة درعا للكونسروة افتتح ١٣ معملاً خاصاً للكونسرة فيها؟!

■ **زهير مشعان**

الإعلامية والباحثة رولا عبد الله الأحمد لـ «قاسيون»:

من حق الشعوب معرفة خفايا منظمة التجارة العالمية!!

تقدمت سورية مؤخراً بطلب رسمي للالتحاق بمنظمة التجارة العالمية، وهذه الخطوة التي يؤكد الفريق الاقتصادي ومن خلفه الحكومة، أنها «اضطرارية» و«متأخرة» ستخلق أمام سورية تحديات خطيرة على المستويات كافة. فما هي خطورة هذه الخطوة؟ وما هي المراهنات التي يعقد الفريق الاقتصادي آماله عليها؟ وما تبعات ذلك على بلدنا اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً؟ للإجابة على كل هذه الأسئلة التقت قاسيون الإعلامية والباحثة في شؤون المنظمات الدولية السيدة رولا عبد الله الأحمد وأجرت معها هذا الحوار:

ماهي منظمة التجارة؟

. قاسيون: يقال إن منظمة التجارة العالمية هي الحاكم الفعلي للعالم ما مدى مصداقية هذه المقولة؟ وما هي الأهداف الحقيقية لهذه المنظمة؟ من يديرها؟ وما هي آليات عملها؟ وما أهمية أن يطّلع المواطن في بلدان العالم الثالث عموماً وفي سورية خصوصاً على كل ما يتعلق بها، وهي التي ستصبح قريباً المؤثر الأول في معيشته؟

. بداية يجب التحدث عن مسألة هامة لها علاقة بالمعرفة وأنماطها، فثورة الاتصالات التي تحكمها بالأساس الشركات الاحتكارية تغيّب الكثير من الحقائق وتروج وتسوّق ما تشاء من القضايا التي تخدم أغراضها، وحين قال «ماكلوهن»: (إن العالم أصبح قرية واحدة)، كان يضمر أن هذه القرية هدفها صب المعلومة باتجاه واحد من الشمال نحو الجنوب ، رغبة بأن يسطو هذا الشمال الثري على ذهنية الجنوب الفقير، تمهيداً لجعل الجنوب سوق استهلاك كبير لمنتجات أهل الشمال، ومن أوائل المفاهيم التي تم الترويج لها في هذا الإطار هو جعل الإعلام الاقتصادي إعلاماً للنخبة وأصحاب القرار وتعقيد فهم مصطلحاته، حتى ولّد لدى الناس فكرة أن لا يهتموا بالقضايا الاقتصادية، وأن يتركوها للنخبة ليتفردوا بصنع القرار.

والحقيقة أن هناك تداخلاً كبيراً بين جميع القضايا، فلا وجود لشيء اسمه سياسة بمعزل عن الاقتصاد، السائد دائماً هو الاقتصاد السياسي، ومن بديهيات الأمور أن الأسباب العميقة لكل الحروب والنزاعات في هي الأصل اقتصادية.

وفي موضوع منظمة التجارة العالمية، أنا أعرّفها أنها منظمة اقتصادية تتحكم بسياسة العالم، إذاً هذه المنظمة صيغة احتلال جديدة إنما مختلفة من حيث الشكل.. مفهوم منظمة التجارة العالمية آتى من الاقتصاد الحر (تحرير التجارة، جعل الأسواق مفتوحة دون رسوم جمركية)، وإذا أردنا أن نبسطها وفقاً لنظرية الأواني المستطرقة، هي الفكرة التنافسية، فقط القيمة التنافسية، شركات تمتلك منتجاً بمواصفات قياسية وتريد أن تدخل إلى أي سوق من الأسواق العالمية دون (بسبورت) عبور، دون اعتبار لخصوصية هذا البلد أو ذاك، في ظل حالة من الفوضى تفتقد إلى الضوابط الأخلاقية والثقافية والاجتماعية.

منظمة التجارة منظمة تضم ١٣٣ دولة، ويحكمها ثلاثة أقطاب (معسكر الولايات المتحدة . معسكر الاتحاد الأوربي . معسكر اليابان) ودون موافقة هذه الأقطاب الثلاثة الرئيسية لا يمكن إصدار أي قرار أو أي قانون.. إن هذه المنظمة باختصار مسؤولة عن حركة الاقتصاد في العالم وفقا لمصالح الشركات المتعددة الجنسيات، التي تتبع لها منظمة التجارة نفسها، وهي من أكثر المنظمات ديكتاتورية في قراراتها على المستوى العالمي، هذا ليس كلامي إنه تقييم من أتيح له أن يحضر اجتماعات هذه المنظمة..وهذا الكلام هو من جملة انتقادات وجهتها حتى الدول الكبيرة للمنظمة في مؤتمر سياتل الذي انعقد عام ١٩٩٩ والذي لاقى فشلاً ذريعاً. لقد وجّهت انتقادات لمنظمة التجارة كونها تملي قراراتها على حكومات الدول حتى الكبيرة منها مثل (الولايات المتحدة . اليابان وغيرها) وبسبب تضارب مصالح الدول مع المنظمة، فشل المؤتمر..إذاً الموضوع عبارة عن صراع العملاقة الاقتصاديين.

فمنظمة التجارة لا تستطيع الدول القوية اقتصادياً مواجهتها رغم الاعتراضات الكثيرة وقوة اقتصادها، وبالتالي لكم أن تتخيلوا حجم الاستشراس علينا كدول فقيرة.. الدول النامية تشكل ثلثي الأعضاء في المنظمة ورغم ذلك لا يحق لها التصويت حسب قانون المنظمة رقم (٩) إذا كان القرار مصيرياً، (مقاطعة . عقوبات اقتصادية.. وغيرها).

أما موضوع توافق الآراء داخل المنظمة المصدّر للإعلام فهو عبارة عن كذبة كبيرة.

. قاسيون: بهذا المعنى هل منظمة التجارة العالمية هي شكل عصري مخفف للصراعات على الأسواق التي كانت سائدة أواخر القرن التاسع والنصف الأول من القرن العشرين، والذي كان من نتائجه الحربين العالميتين والنزاعات العسكرية؟

. رولا : بالضبط، لكنه ليس شكلاً مخففاً أبداً، بل لنقل إنه مكثّف، هم حاولوا أن يصوروا الموضوع على أنه (مخفف) وحاولوا أن يفهموه لنا على هذا النحو، وصوروا لنا ولادة منظمة التجارة على (أنه مشروع خُلقَ لتوزيع الثروة بشكل عادل بين الدول الغنية والدوَل النامية).

هذا الكلام غير صحيح.. والدليل على ذلك أن منتقدي هذه المنظمة التي تمثل مصالح الشركات العملاقة في الدول الكبرى أكدوا في غير مناسبة أن المنظمة تريد جعل البلاد النامية أسواقاً لمنتجات الشركات أي احتلال اقتصادي – سياسي بشكل متطور.

وهكذا الكلام ليس فقط لمناهضي المنظمة، وإنما أيضاً هو رأي الكثير من المؤتمرين في منظمة التجارة، الذين خرجوا بعد مؤتمر سياتل ليقولوا للصحفيين إن هذه المنظمة باتت أداة في أيدي الشركات المتعددة الجنسيات، ومن ضمن أولئك الولايات المتحدة الأمريكية نفسها عندما لم ترق لها أجندة المؤتمر، وفشل المؤتمر فشلاً ذريعاً!!.

قطار العولمة

. قاسيون: في بلدان العالم الثالث، وحتى في سورية، هناك رأي يقول إن قطار العولمة يسير، وإذا لم نلحق بهذا القطار، سنتخلف عنه، بهذا المنطق الاستعجالي كيف يمكن معالجة موضوع الانضمام إلى المنظمة؟

. هم قالوا وأصروا أنهم سيركبون القطار وهذا من ضمن معانيه أنهم رأوا الجوانب الإيجابية ولكنهم لم يروا ولم يذكروا الجوانب السلبية.

إذا كنا سنركب هذا القطار فالسؤال لماذا سنركب هذا القطار؟ هذا قطار عولمة، الناس لديها حساسية من هذه الكلمة (العولمة).

. قاسيون: مفهوم العولمة في الغرب له تأثير سلبي في الوعي الاجتماعي، أما لدى بلدان العالم الثالث فلا يوجد أي رد فعل سلبي تجاه هذا المفهوم، والسبب هو التسويق الإعلامي الذي يلعب دوراً بارزاً في تمرير هذا المفهوم بالوعي الاجتماعي

. صحيح، الدول الكبيرة تشرك شعوبها بالقرار لأنها ملزمة بهذا وفقاً لدساتيرها ، أما هنا فالقضية مختلفة، والشعوب ما تزال مغيبة كلياً عن المشاركة في اتخاذ القرار. ويمكنك أن تلاحظ أن أكثر الشعوب مناهضة للعولمة اليوم هي شعوب البلدان الرأسمالية الكبرى، لأنهم على تماس مباشر مع خطورة هذه المسألة، فمنظمة التجارة حاصصت المزارع بخبزه، مثلما حاصصت صاحب البنك، وبما أن هذه الشعوب عاشت تجارب، فالقراءة الاقتصادية أصبحت فيها أهم وأسبق من القراءة السياسية وليس كما يحدث في دول أخرى..

قانون الإغراء

. قاسيون: السياسة هي تعبير مكثّف عن الاقتصاد.. هناك حركة شعبية ثورية في البلدان الرأسمالية لديها تجربة ومستوى معين من المعرفة تمكنها من أن ترى الظاهرة بعكس بلدان العالم الثالث

– نعم، ويهمني هنا تبسيط المفاهيم. وما يهمني الآن في سورية هو أن صاحب صناعة وليدة ما مكتوب عليها «صنع في سورية» وهو فخور بها، سيتهدد بالإفلاس والانسحاق مع السير بركب المنظمة..

بموجب قانون منظمة التجارة الذي هو (قانون الإغراء) ستخترق الحدود وتجري منافسة غير متكافئة.. مثلاً في سورية صناعة براد تكلف ١٠٠٠ ل.س فإذا دخل البراد الأمريكي البلد بسعر ١٠٠٠ ل.س، فما الذي سيحدث؟ في هذه الحالة سيجري المواطن مفاضلة بينهما وسيختار الأرخص والأفضل، وبالتالي سيكون المنتجون على اختلاف مستوياتهم ورساميلهم أول من سيدفع الثمن.

. أنا هنا أرجو أن تفهم القاعدة الشعبية ذلك لأنها هي المتضررة الوحيدة من هذه العملية وهذا من البديهيات، ولكن للأسف شعوبنا ليس لديها رغبة أن تقرأ أو أن تعرف. لنأخذ مثالاً آخر..الصين لماذالم تبتلعها منظمة التجارة، بل هي التي ابتلعت المنظمة؟ هذا ما يجب أن نفكر ونقتدي به..

لبنان..كازينو!

. قاسيون: وعربياً؟ أليس هناك تجارب على هذا الصعيد؟

– سأنطلق من التجربة اللبنانية، لأنني مطلّعة عليها، وهي أكبر دليل على أنه لا توجد أية مكاسب من الالتحاق بركب المنظمة، ومؤتمرات باريس١ ، باريس٢ ، باريس٣ هي احتلال للبنان، فقد قدم مندوب منظمة التجارة العالمية معونات دولية إلى لبنان وتحديداً إلى حكومة السنيورة من أجل الانضمام إلى منظمة التجارة، مقابل خصخصة شاملة ومن بينها خصخصة وزارة الثقافة اللبنانية! هل يمكن اعتبار ذلك شيئاً إيجابياً؟ الوضع مأساوي في لبنان، وساهم في ذلك الانشقاق الحاصل هناك.. فما هي المكاسب التي حققها لبنان بدخوله إلى منظمة التجارة العالمية، هل الديون والمنح هي مكاسب؟؟ الشركات العابرة للقارات لا تمنح أي شيء دون مقابل، فبلد فقير مثل لبنان ماذا يمكن أن يقدم غير قطاع الخدمات، وقد بيع هذا القطاع بأكمله تقريباً، الوسط التجاري الذي يتوسط قلب بيروت هو عبارة عن عقار مسجل باسم الحريري، والحريري رهن بيروت عند صندوق النقد الدولي في مؤتمرات باريس المتعددة..

لقد تراكمت الديون على لبنان.. في باريس (١): ١٣ مليار دولار، وفي باريس٢ : ٢٤ مليار وفي باريس٣: ٥٧ مليار، وبالتالي هذه الديون تنتج بشكل سافر نظام وصاية جديد على لبنان بأكمله، هذه هي تجربة لبنان، وبالتالي كان الهدف الأساسي وما يزال يتمثل بالسيطرة على هذا البلد باعتباره منفذاً إقليمياً أساسياً في المنطقة، وبالتالي دفعه للارتماء في أحضان «إسرائيل»...

انهيار وشيك

. قاسيون: وبالنسبة لسورية؟

– الانضمام إلى منظمة التجارة، لم يحن وقته إلى الآن.. وأنا برأيي أنه قبل أن ننضم إلى منظمة التجارة، ستنهار هذه المنظمة!! هناك مؤشرات حقيقية في هذا الاتجاه، وأنا اطلعت على مقالات تقول بأن منظمة التجارة ستنهار قريباً، بحيث تحل محلها الأقطاب الثلاثة التي تحدثنا عنها بالإضافة إلى الشركات العابرة للقارات.

. قاسيون: في اجتماع جوهانسبرغ استطاعت بلدان العالم الثالث الضغط على البلدان الثرية، وهذا يعني أن بلدان الأطراف التي لم يكن يؤخذ رأيها بعين الاعتبار، تتطور وتشكل أقطاباً جديدة وهذا يمكن أن يعيد النظر بالتوازنات على المستوى العالمي

. في البداية قلت: إذا لم يكن الموضوع محورياً أو أساسياً ومصيرياً، فيمكن للدول الصغيرة المشاركة والتأثير، أما عدا ذلك فلا، فالشركات الكبيرة ليست لديها مشكلة مع تكوّن هذه الأقطاب الصغيرة، على العكس من ذلك فإنها ستقول لشعوب وحكام العالم الثالث: انظروا لقد حققتم مكاسب، حتى يبهروا الدول والأسواق الصغيرة بذلك ويدفعوها للدخول في المنظمة.. هذا فخ!!.

. قاسيون: من المعروف، وكما ذكرت سابقاً، أن منظمة التجارة العالمية هي سلطة عالمية تهيمن عليها الشركات الاحتكارية العابرة للقارات وبالتالي فهي قادرة على السيطرة على القرار السياسي حتى في البلدان الرأسمالية الكبرى..

. هذا صحيح كلياً، فهذه الشركات هي صانعة القرار في الدول الرأسمالية، وفي الحقيقة أنا أعول على سقوط الولايات المتحدة من هذا المنطلق، من منطلق أنهم وقعوا في الفخ الذي نصبوه. بالإضافة إلى أنهم لا يمتلكون بنية معرفية تسمح لهم بالاستمرار أكثر.

. قاسيون: يتذرع الداعون المحليون للانضمام إلى المنظمة بأنها ستنشط الاقتصاد السوري عبر الاستثمارات التي ستجلبها معها والتي ستكون ذات جدوى اقتصادية كبيرة وستساهم في تشغيل اليد العاملة وتفتح المجال أمام الاستثمارات الزراعية والصناعية وبالتالي تعمل على خلق نوع من الحيوية الاقتصادية

. رولا : كل ذلك ممكن، ولكن لن يستمر إلا لفترة وجيزة، ولكن كم مصنعاً محلياً سوف يغلق في المقابل؟؟ فبالمحصلة هذه الشركات تعتبر بلدنا سوقاً استهلاكية ومصدراً للخامات ليس أكثر ولا أقل.. ولن تلبث هذه الشركات العملاقة التي تعتبر حيتاناً حقيقية أن تبتلع كل شيء. وعلى العمالة المغرر بها والمسحوبة من معاملها الأصلية أن تقبل بأجر زهيد جداً حين تحتكر العمل.. فلن يكون لديها أي خيار..

. قاسيون: هذه إحدى معالم العولمة؟

. لا شك أن ثورة الاتصالات كان المقصود منها إظهار أشياء وإخفاء أشياء أخرى.. وفي سورية وبسبب الضبابية الموجودة، هناك نقاش جدي بين فريقين، فريق يشخص أن منظمة التجارة كإحدى حراب العولمة ستبتلع جميع الهويات الوطنية، لذلك عندما نقاوم الدخول إليها فنحن نقاوم الهيمنة على هويتنا الوطنية... وفريق يرى العكس وهم الأقوى والأكثر نفوذاً وهذه النقطة هي محطة ونقطة صراع شديد الطرف الأضعف فيه هم أولئك الذين يقاومون هذا القطار.

دكتاتورية رأس المال

. قاسيون: هل من الممكن تحسين أوضاع هؤلاء المقاومين؟

. لا نستطيع أن نفعل هذا، ولا حتى حكومات الدول الكبرى التي أصبحت تنتقد منظمة التجارة وتعتبرها ديكتاتورية بإملاء الشروط تستطيع ذلك. وإذا أردنا أن نبحث عن حلول بغض النظر آكنا مع المؤيدين أو مع المعارضين حول الانضمام فلننظر إلى التجربة الصينية في هذا الإطار، ومن تجربة والدي الباحث عبد الله الأحمد، خلال نظريته التي طرحها عام ١٩٩٩ ، بعد مؤتمر سياتل في USA .. وقد عرض حينها التجربة الصينية كحل ووحيد للانضمام لمنظمة التجارة، الآن يمكن الدخول للمنظمة تحت جناح العملاق الصيني الداخل بقوة في مواجهة الدول الكبرى، فالصين والتي تحوي أكثر من مليار و٤٠٠ مليون نسمة تدخل الآن الأسواق الأفريقية والآسيوية والعالمية عموماً بهدوء وتغزوها ببضاعتها، من خلال اعتمادها على النظام الاشتراكي، وقد حولت مناطق التجارة الحرة في أراضيها إلى كانتونات اقتصادية صغيرة حرة، تطبق داخل هذا الكانتون كل قوانين منظمة التجارة ضمن إطار تحسين الشروط.

ولكن دون أن يخرج العامل في هذه الكانتونات إلا إلى النظام الاشتراكي.

وإذا أردنا السير في ركب المؤيدين للدخول والانضمام فعلينا الاقتداء بالنموذج الصيني، فالشعوب الواعية باستطاعتها تجنب الآثار السلبية، أما أن تدخل بشكل فجائي، ودون وعي كامل للخطوة فهذا أمر خطير جداً على سلامة أي بلد .

مصر.. الجوع!

. قاسيون: ما تقييمك لتجربة مصر على سبيل المثال

. الحقيقة أنه لم يتكلم أي من الاقتصاديين في مؤتمر جنيف عن التجربة المصرية. ومع ذلك أؤكد لكم أنه في مصر تم خصخصة القطاعات الكبرى، كما تمّ إلغاء الدعم عن السلع البسيطة وهذا بدوره أدى إلى تكوّن طبقة واسعة جداً تحت خط الفقر.

وكما هو معروف فإن (إلغاء الدعم عن المواد الأساسية) يشكل أحد القوانين الأساسية لمنظمة التجارة العالمية في قطاعي (الصناعة والزراعة)، وفي مصر ليس هناك أي وجود لقطاع الصناعة الزراعية وإنما هناك فقط الزراعة، وما يتم يجري في ظل تعتيم إعلامي كبير..

هذا الوضع المزري الجاري في مصر ينعكس سلباً على الشعب المصري مما يؤدي إلى تشكل حركات التطرف والانضمام الواسع إليها والذي بدوره يفرز حالة متطرفة ناقمة على كل شيء، أما الذين كانوا من أشد المؤيدين للانضمام للمنظمة، فلم يعد لديهم أية إجابة على الأسئلة والمعطيات الناشئة بعد الانضمام..هؤلاء ليس لديهم ولا إجابة واحدة عن الديون والفوائد المترتبة على مصر جراء هذا الانضمام، ولا على معدلات البطالة والأمية، ولا على الأضرار الكبيرة التي طالت في مصر قطاع الصحة بشكل مخيف.

ففي مصر اليوم ٣ ملايين طفل مشرد، و(٦) ملايين فتاة عانس، وربما ما يحدث في لبنان الآن هو مقدمة للوصول إلى النتائج (المصرية) فإحدى أبرز مهام المنظمة في لبنان تحويله إلى كازينو!!

. قاسيون: ما هي البدائل الوطنية لدى هذه الدول (بما فيها سورية)، إذا افترضنا أن الانضمام إلى هذه المنظمة، هو خطأ سياسي اقتصادي اجتماعي كبير؟

. أعتقد أن الحل هو في التماهي مع التجربة الصينية. الخيار الوحيد هو الخروج من تحت جنح الدول الرأسمالية الكبرى. أما بالنسبة لسورية، فأنا أعتقد أن شروط انضمامها إلى المنظمة فيها الكثير من (الإجحاف)؟

حلول وآفاق

قاسيون: أنت تتعاملين مع الموضوع وكأن لا مهرب من الانضَمام إلى المنظمة

. لقد قدمت سورية طلب الانضمام في تشرين الثاني لعام ٢٠٠٥ وانتهى الأمر، لا يمكننا التراجع كما أعتقد .

. قاسيون: ألا يوجد خيار آخر أمام هذه الشعوب؟

. على العكس.. هناك خيارات كثيرة، وأهمها من وجهة نظري الاهتمام بتجربة أمريكا اللاتينية الجديدة في ممانعتها لسياسات النظام المعولم، وتجربة إيران، هناك معسكر حقيقي يتكون الآن..

. قاسيون: أليس هذا من الخيارات الصعبة والضيقة الأفق؟

. على العكس الخيارات مفتوحة، سواءً كان النموذج الإيراني، أو نموذج أمريكا اللاتينية أو النموذج الماليزي.. وهذا النموذج الآسيوي بالذات يشلّ أمريكا بالمعنى الاقتصادي.. أي أنها تنافسها اقتصادياً بشكل فعال في السوق.

وهنا أريد أن أختم الموضوع: إذا كان هناك إجماع بالانضمام إلى المنظمة (منظمة التجارة العالمية) فأنا أعتقد أن هذا الانضمام (مبكر) لأن في سورية صناعات وليدة، وإلى أن ينمو هذا الوليد ويقف على قدميه ويدرك المعنى الاقتصادي.. عندها يمكن أن نناقش موضوع الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية. فإذا دخلت صناعة عملاقة إلى البلد فإنها ستقضي على صناعتنا الوليدة في مهدها..

■ **قاسيون**

منظمة التجارة.. شكل مكثف للاستعمار القديم والصراع الاحتكاري على الأسواق

قراؤها في السقيلبية يؤكدون:

«قاسيون» جريدة بحجم هموم الوطن والمواطن!!

بدعوة من منظمة الشيوعيين السوريين في مدينة السقيلبية أقيمت ندوة حوارية لقراء جريدة قاسيون في ٢٠٠٧/٢/١٩ تحت عنوان «جريدة قاسيون شكلاً ومضموناً والدور الذي تقوم به»، حضرها طيف واسع من مشتركي وقراء الجريدة.

افتتح الندوة الرفيق سكرتير المنظمة مرحباً بالحضور، ثم قدم مدخلاً تحدث فيه عن أهمية الإعلام ودوره في رفع السوية المعرفية فكرياً وسياسياً، وميّز بين الإعلام الثوري الذي يعمل على تسليح الطبقة العاملة والشغيلة وقوى المجتمع الشريفة والنزيهة بالمعرفة اللازمة لتدافع عن حقوقها وحقوق أوطانها، وبيّن الإعلام الإمبريالي المعولم الذي يتسم بالذرائعية والتضليل وقلب الحقائق من أجل التحكم بالوعي الاجتماعي وتحويله عن مسار نضاله الحقيقي من خلال خلق ثنائيات تناقضية وهمية لإبعاد النظر عن العدو الحقيقي وعن التناقض الأساسي الذي جوهره الصراع الطبقي بين الشعوب من جهة وناهبي خيراتها من الجهة الأخرى.

وتحدث عن دور الصحافة الثورية وعن طموح شيوعيي قاسيون للوصول لإعلام ثوري مناهض لقوى العولمة والليبرالية الجديدة ومدافع عن قضايا الجماهير الكادحة والشغيلة وكل قوى المجتمع المناهضة للمشروع الإمبريالي العالمي..

النقاش

. فريد نسب متقاعد: إن تيار قاسيون يحاول تقديم جريدة جدية تحمل هموم الوطن فهي جريدة وطنية.. ومن خلال متابعتي للافتتاحيات، أعتقد أن مستوى هذه الافتتاحيات أعلى من مستوى الجماهير لذلك يفضل الكتابة بشكل أبسط.

هنالك بعض المصطلحات ترد في الجريدة غير مفهومة أقترح وضع هوامش للتعريف بها.

أنتم انطلقتم كتيار تحت شعار وحدة الشيوعيين السوريين وهو هدف لكم، ولكن منذ حوالي العام تقريباً لم ألحظ أي مواضيع في الجريدة حول موضوع وحدة الشيوعيين.

. مدحت عبد الله (موظف) قدم مداخلة مكتوبة أورد فيها: .. الثقافة هي الحامية الأعلى للبشرية، جميع حاجات الإنسان الجانبية لها حدود إلا حامية الثقافة فلا حدود لها وجريدة قاسيون هي من وسائل نشر وتصحيح الثقافة، بل هي مدماك في خندق الثقافة لمواجهة أعداء الوطن.

وبالرغم من أننا نعيش ثورة اتصالات لكن مازالت جريدة قاسيون تتمتع بجاذبية لالتزامها الوطني وطرحها لمواضيع هامة تهم الوطن والمواطن.

هنالك قضايا أعتقد أن الجريدة لا توليها الاهتمام الكافي رغم أهمية هذه القضايا مثل قضايا الشباب وقضايا البيئة.

. حكمت تريكية (مهندس): الافتتاحيات في جريدة قاسيون مميزة عن الصحف الأخرى بشكل واضح فهي تمثل لب السياسة التي ينهجها تيار قاسيون، الجريدة شبه عمالية لأنها تغطي بصفحاتها قضايا عمالية كثيرة، لكن هنالك تقصير في مجال القضايا الزراعية، والصفحة الثقافية تحتاج لدعم أكبر.

وتبقى قاسيون جريدة رائعة.

. جرجس كنجو (فلاح): المطلوب من الصحافة الشيوعية أن تكون صحف كفاحية، وقاسيون تركز بشكل جريء على قضايا الفساد وهي تسمي الأشياء بأسمائها، وهي كجريدة أسبوعية تلبي الحاجات المطلوبة، وأنا أراها اقتصادية أكثر منها سياسية، المطلوب التركيز على القضايا الفكرية وقضايا الشباب.

. جرجس وسوف (حرفي): أنا أسمي هذه الجريدة الصاروخ لسرعتها في طرح المواضيع الملحة، ولكن هنالك كثير من المشاكل في السقيلبية ومنطقة الغاب، لماذا لا تطرح في الجريدة؟

وأقترح لقاء لجمهور الحرفيين للتعرف على مشاكلهم وطرح قضاياهم في الجريدة.

. أيمن أبو صفرا (مهندس): أطالب برفع الخطاب المطلبي إلى مستوى الخطاب الوطني، وأرجو متابعة ملف الفساد بنفس الزخم السابق، وأقترح الإكثار من الكاريكاتور في الجريدة بحيث لكل موضوع كاريكاتور خاص به.

. جرجس جبور (مدرس): قضايا المرأة تغيب عن صفحات الجريدة.

في معظم المدن السورية يوجد تجمعات لعمال يعرضون بيع قوة عملهم وعددهم كبير أقترح فتح زاوية في الجريدة لمعالجة هموم هؤلاء العمال.

. بديع بنود (محامي): سابقاً كنت أقرأ جريدة الحزب المركزية ولكن وصلت بالنهاية إلى عدم قراءتها وعدم طلبها، لكن قاسيون أنتظرها باللحظة لأنها تلبي حاجاتنا وبالرغم من كل الصعوبات فإن ما تقوم به قاسيون عظيم جداً.

البعض قال لماذا لا تكتبون عن وحدة الشيوعيين لكن هنالك من قال أنتم تكثرون الكتابة عن وحدة الشيوعيين لماذا لا تكتبون عن عموم الناس.. المطلوب إيجاد مؤيدين لقاسيون من كافة الشرائح واستقطاب مفكرين وكتاب.

. نجدت وردة (مهندس): قاسيون تكتب عن مواضيع الفساد، في بلدان أخرى لو طرحت صحيفة مثل هذه القضايا لحدثت هزة في المجتمع، لكن عندنا لا يحدث شيء رغم خطورة المواضيع المطروحة، لذلك الناس يقولون لنا صحيح أنتم تكتبون ولكن ماذا كانت النتيجة؟

. حنا داود (مهندس): هناك طروحات جيدة في قاسيون ولكن إذا لم تتآزر معها كل الصحف الأخرى ستكون العملية صعبة.

نحن نحتاج لقانون للصحافة وقانون للأحزاب وقانون قضائي يحاسب وإلا سيبقى دور الصحافة ضعيفاً..

. رفائيل قروح (مدرس): بعض المواضيع المنشورة مبتورة وهي تداعب المشكلة مداعبة دون الخوض في عمقها، والمثال موضوع المراكز الثقافية المنشور، وبعض المقالات فيها تخوين أتمنى من الجريدة ألا تدخل في هذه اللعبة.

. أيمن أبو صفرا: أقترح من أجل القضايا المطلبية القدوم إلى المكتب وطرح الهموم والمشاكل والمكتب يوصلها للجريدة.

. فيليب سليمان: أرجو الإكثار من المواضيع الاقتصادية بالإضافة إلى قضايا يجب التركيز عليها مثل التراث. البيئة. الشباب.

يجب أن تتعامل مع الجريدة بجدية أكبر لأنني أراها حالة نهضوية.

. جرجس جبور: أقترح لقاءات مع رجال دين متنورين معروفة مواقفهم من المشروع الأمريكي.

. جرجس كنجو: نحن انتقدنا خيراً وشراً، ولكن لم نسأل أنفسنا ماذا نقدم لدعم جريدة قاسيون فإذا كان من غير الممكن أن ندعمها مادياً فعلينا أن ندعمها من خلال الكتابة لها.

مروان جرجس (مساعد مدرس): أرجو الاستمرار بنفس الوتيرة بمحاربة الفساد والفاسدين.

وفي النهاية تقدمت إدارة الندوة بالشكر للحضور مساهماتهم القيمة.

■ **مراسل قاسيون**

كيف أصبحت شيوعياً

ضيفنا لهذا العدد الرفيق نعيم ميخائيل محّول من الرفاق في تنظيم «النور»..

– الرفيق العزيز أبو مخول... حدثنا عن البداية.. كيف أصبحت شيوعياً؟

– أنا من أسرة أصلها من لواء اسكندرون، ولدت في جسر الشغور عام ١٩٣٠ حيث كان والدي يعمل «اسكافي» ثم انتقل للعمل في قرية «طنطاش» وهناك تعلمت لدى شيخ القرية قراءة القرآن الكريم والخط وعمليات الحساب لمدة خمسة أعوام، وكلما حفظت جزءاً من القرآن تقام لي حفلة يلبسونني خلالها «القمباز» ويضعون على رأسي طربوشاً، ومع بدء الحرب العالمية عام ١٩٣٩، عدنا لنسكن في الجسر، فدرست حتى نهاية الصف الخامس في مدرسة طائفة الروم، وكنت من المتفوقين في مادة الحساب. في تلك الأثناء كان المحتلون الفرنسيون يعرضون في ساحة البلدة أفلام دعاية بواسطة آلة سينمائية موضوعة على سيارة، وأتذكر «تصنيف» أبي لقادة الحرب الذين يظهرون على الشاشة وقوله: «تشرشل ماكر وسيئ، وديغول أقل سوءاً، وستالين مثل والدك كان إسكافياً ثم صار خوري، ثم ترك الكهنة وانضم إلى الثوار».. ولم أكن أدري من أين توصل لهذا الرأي، فهو أمي ولا يحتك إلا بزبائنه الفلاحين البسطاء، وكان مولعاً بالحكايات التاريخية، يشتري قصصاً مثل سيرة بني هلال وقصة الملك الظاهر وغيرها، أقرؤها له وهو يعمل.

بعد الحرب وبدافع السعي وراء العمل انتقلت إلى دمشق عام ١٩٤٧ لأعمل بفندق «زهرة الصباح» في سوق التبن، ثم في فندق «قصر النيل» بزقاق رامي، وفيه سمعت لأول مرة كلاما عن الحزب الشيوعي، قاله شرطي حمصي لقريبه المقيم بالفندق وهو يحدثه عن الاعتداء الذي تعرض له مكتب الحزب في حي المزرعة، واستشهد فيه الرفيق حسين عاقو وجرح العديد من الرفاق، ومن حينه بدأت أتعرف على رفاق ومنهم آغوب العامل في فندق «أوريان بلاس» مقابل محطة الحجاز وعبد الهادي أيوبي، وحين أحس صاحب الفندق» بما يجري صرفني مباشرة من العمل، فلجأت عن طريق رفيق إلى المحامي الرفيق نصوح الغفري وأقمت دعوى مطالبا بالتعويض وكسبت الحكم، وأبقيت المبلغ تبرعا للحزب، ثم أمّن لي الرفيق آغوب عملا معه في الفندق، وبعد عام عملت في مطعم «القطة السوداء» مقابل شركة «الترومواي» الكهرباء حاليا، وبمبادرة فردية نفذت مع ستة عشر عاملا إضرابا في المطعم مطالبين بـ١٢ ساعة عمل بدلا من ١٦ ونجحنا بتحقيق المطلوب، وهذا النجاح أفسح المجال أمامي فيما بعد لأشارك في انتخاب نقابة عمال المطاعم والفنادق ولأفوز بعضوية النقابة. ومن ذكريات تلك الفترة زيارتي للأهل بجسر الشغور ولقائي بالأصدقاء وبعد عودتي لدمشق بيوم واحد جرت مظاهرة بالجسر فقالوا إنها من ترتيبي واعتقلوا أبي وبقي ثلاثة أيام رهن التحقيق، هذا الأب الطيب البسيط ملأ نفسي فخرا يوم زارني في سجني عندما اعتقلت مع عدد من الرفاق أثناء مظاهرة في «المناخلية» ومنهم الرفيق عدنان البني وواصل فيصل، وقال لي أمامهم وأنا حليق الرأس: «أريدك أن تبقى شجاعا إلى جانب رفاقك فالسجن لن يدوم. وقد تعرفت على عائلة شيوعية هي عائلة الرفيق جبران حلال وفي العام ذاته ١٩٤٩ انتظمت في فرقة حزبية وانتقلت للعمل في «نادي الشرق» وهناك أتيحت لي فرصة تعلم المحاسبة بشكل جيد، وخلال الحرب على كوريا قمنا بمظاهرة حاشدة تأييدا للشعب الكوري ضد غزاته، واعتقلت مع رفاق كثيرين في سجن المزة العسكري، منهم لطفي آله رشي. وفي السجن تعرفت على الضابط السجين عبد الغني قنوت. وبعد عام تعرفت على الرفاق عمر يونس العامل في شركة نفط العراق وبهجت قوطرش وعبد الغني عرفات وأنطون راعي المسؤول باتحاد الشباب الديمقراطي، ومن الذين كانوا يلتقون بنا كنقابيين الرفيق أرتين مادويان ولا أنسى قوله لنا: «إن عملكم يزداد قوة وخبرة ونشاطكم أشبه بكرة الثلج المندفعة من قمة الجبل التي تكبر وتزداد صلابة».

بعد تركي العمل بنقابة عمال المطاعم والفنادق، انخرطت في العمل بنقابة «كتاب وموظفي المحلات التجارية»، وأعتقد أنني أثبتت وجودي، ومع مرور الأعوام صرت عضوا في المكتب التنفيذي لاتحاد عمال دمشق وعضوا في مجلس الاتحاد العام لنقابات العمال، وشاركت في وفود نقابية كثيرة زارت العديد من الدول العربية والأجنبية.

هذا بعض من الماضي، والآن أشعر أن قناعتي تزداد رسوخا يوما بعد يوم بأن حزبنا أدى دورا مشرفا في حياة شعبنا ووطننا بعمل ونضال وتضحيات آلاف الرفاق البواسل الذين حملوا هموم وآلام وآمال الجماهير الكادحة، وخاضوا معها كتفا لكتف الصراع الطبقي والوطني، وبدوري اليوم أتوجه إلى جميع الرفاق في كل مواقعهم بالقول: إن ما يجمعنا أكثر بما لا يقاس بما نختلف عليه، فتعالوا لنعمل جميعنا على استعادة حزبنا لدوره المأمول، وهذا ما يدعونا إليه شعبنا ووطننا.

■ **محمد علي طه**

صيانة وحدة الحزب وتحاشي الانشقاقات

بالرغم من أن الانقسامات في الأحزاب الشيوعية وغيرها من الأحزاب أصبحت ظاهرة عامة، إلا أن ما تعرض له الحزب الشيوعي السوري من انشقاقات كثيرة ربما يكون مردها بالدرجة الأولى للموقع الاستراتيجي الذي تحتله سورية، ولدورها الريادي في نشر الأفكار اليسارية، مما جعلها محط أنظار قوى الإمبريالية والرجعية، دون إهمال بقية العوامل من ضغط العقلية البرجوازية الصغيرة، وضعف العمل الفكري، ومحاولات السيطرة على الحزب. ويمكن إجمال هذه الانقسامات على التوالي بأعوام ١٩٧٢، ١٩٧٩، ١٩٨٦، ٢٠٠٠ ومازال حبل انقسامات بعض هذه الفصائل على الجرار مما أدى إلى شلل الحزب وتمزق منظماته وبالتالي أصبح عاجزاً عن تأدية الدور الوظيفي المنوط به.

كيف يحصل الانشقاق:

إن الخلافات الكبيرة تنشأ أحياناً من أصغر الخلافات، فإن كل جرح تافه أو حتى كل خدش يصاب به كل إنسان في حياته عشرات المرات من شأنه أن يتحول إلى مرض فادح الخطر.

بهذا الشكل يعرض لينين منشأ الانقسامات، ويحدد أسبابها بما يلي:

١ ـ وجود منتسبين للأحزاب الشيوعية لا يستوعبون سوى بعض جوانب الماركسية.

٢ ـ الطابع الديالكتيكي للتطور الاجتماعي.

ثمة أناس أو جماعات يحولون هذه الميزة أو تلك من التطور الرأسمالي إلى نظرية وحيدة الطرف إلى نهج تكتيكي وحيد الطرف.

٣ ـ تكتيكات الطبقات الحاكمة بوجه عام:

فلو أن تكتيك البرجوازية كان دائماً وحيد الشكل أو كان دائماً على الأقل من النوع نفسه لتعلمت الطبقة العامة بسرعة أن ترد إلا أن برجوازية جميع الأقطار تصوغ حتماً في الواقع نهجين للحكم دفاعاً عن مصالحها.

الأسلوب الأول: رفض كل تنازل للحركة العمالية ودعم جميع المؤسسات القديمة البائدة.

الأسلوب الثاني: أسلوب الليبرالية، أي تقديم بعض التنازلات والقيام ببعض الإصلاحات البرجوازية لا بدافع الصدقة ولا بدافع حساب سيىء النية يقوم به بعض الأشخاص، بل بدافع التناقض الأساسي في وضعها بالذات، وإذ ينخدع البعض بتنازلات ظاهرية مما يؤدي إلى خلاف حول التكتيك الواجب تطبيقه تجاه هذه المسألة أو تلك ويؤدي ذلك في بعض الأحيان إلى خلق تكتل ومن ثم إلى الانشقاق السافر.

ما هي سمات التكتل:

إن التكتل هو الوحدة الاسمية «فالجميع من حزب واحد في القول».

ولكنها مجزأة فعلياً بشكل مجموعة مستقلة عن الأخرى بالفعل وتدخل في مباحثات واتفاقات فيما بينها كدول ذات سيادة، ولذلك فإن لينين أكد وجود التكتل عند تحقيق علامتين جوهريتين له هما:

أ ـ الاعتراف الاسمي بالوحدة.

ب ـ الانعزال عملياً في جماعة واحدة.

من هم الحزب ومن هم الكتلة:

إن لينين يحسم هذه المسألة على الشكل التالي:

«حيث التفت أكثرية العمال الواعيين حول قرارات دقيقة وواضحة تكون وحدة الآراء والأعمال وتكون الحزبية والحزب» لينين ضد الانتهازية وضد التروتسكية ص٢٧٧.

ولذلك فإن الحزب ليس يافطة أو مكتباً كما أنه بالتأكيد ليس قطعة أثاث ثمينة تورث.

ولصيانة وحدة الحزب يرفع لينين الشعار الحازم المزيد من النور ليعرف الحزب كل شيء لتقييم الخلافات.. المزيد من الثقة باستقلال رأي جمهور العاملين الحزبيين فهم وحدهم يستطيعون أن يخمدوا همة الفريقات الميالة إلى الانشقاق، ويضيف «لا تخفوا عن الحزب الذرائع الناشئة والمتعاظمة للانشقاق، وقدر الإمكان عن الجمهور من خارج الحزب فالعلنية الواسعة تلك هي أصح وسيلة والوسيلة الوحيدة المأمونة لأجل تحاشي الانشقاقات.

أهم الصعوبات التي تعترض طريق الوحدة:

١ ـ إن من يزعم نفسه حزباً لا يقبل بأي حوار أو اتفاق مع الذين خرجوا متذرعاً بالمبدئية وعند مراجعة كراس لينين ضد الانتهازية وضد التروتسكية ص٢٨٥ يقول: «ولكن الاتفاقات مع هذه الجماعة الخارجة عن الحزب أمر جائز»... الخ.

٢ ـ إن قيادات الحزب التي استكانت للمكاسب واستمتعت بالجاه والنفوذ تضع العصي في العجلات بطريق الوحدة وترى فيها تهديداً جدياً لهذه المكاسب.

٣ ـ إن من يزعم نفسه حزباً لا يرى إلا شكلاً واحداً للوحدة ألا وهو طريق الابن الضال، والسخرية من الدعوات التي تقول بجواز حصول الوحدة من القواعد، متجاهلة قول لينين: «إذا كان المقصود وحدة ماركسية فعلاً فإننا ندعو إلى تلاحم جميع قوى الماركسية إلى الوحدة من القاعدة إلى الوحدة في النشاط العملي». لينين كتاب ضد الانتهازية والتروتسكية ص٢٦٥.

٤ ـ التحجر الفكري والجمود العقائدي لدى بعض الشيوعيين الذين يرفضون أي نوع من الحوار.

٥ ـ تعامل الفصائل الشيوعية مع بعضها البعض كدول ذات سيادة ومتعادية.

إنه من الممكن والواجب العمل بلا كلل أو ملل من أجل وحدة جميع الشيوعيين لأن هناك مهاماً جساماً تنتظر منهم حلها، لاسيما وأن كل الأحداث تؤكد تسارع العدوان الأمريكي الصهيوني على منطقتنا وبلادنا، وأعتقد بأنه آن الأوان لأن نتوقف عن النظر إلى بعضنا البعض من خلال مرآة مكسورة.

■ **المحامي بديع بنود**

«أن تكون ديمقراطياً»

. محمود عبد الكريم.

❖ ... هذا زمان غريب عجيب. انقلبت فيه المعايير واختلطت المفاهيم... حتى كان القابض على الحقيقة والحق كالقابض على الجمر.

❖ ... والعرب يضربون الأمثال فقالوا:

«كن في الفتنة كابن اللبون فلا ضرعاً فتحلب ولا ظهراً فتركب»

لكن العرب - كما يبدو - ينسون أمثالهم... وهم أمة الكلام والأمثال وسادة اللغة وسدنتها.. فيا لقومي.

❖ فأن تكون ديمقراطياً في هذا الزمان الرديء مثلاً:

- عليك أن تستفتح يومك بذكر فضائل «جورج بوش» قائد «الديمقراطية القاني»... القابض على راية الحرية... المرفرفة فوق جثث عشرات الآلاف القتلى في العراق وفلسطين وأفغانستان ولبنان والصومال... والحبل على الجرار.

❖ أن تنتهي من بعض فضائل الهمام الأمريكي لا بد لك أن تلعن القتلى الحمقى الذين يدافعون عن بلدانهم - فهم إرهابيون ... متعصبون... منكرون للمحرقة... لا ساميون... أعداء ألداء للحرية... مشوهون... والأفضل بل لا بد من قتلهم... والأمر بالقتل «أي السيد بوش» أعطى أمراً مفتوحاً بالقتل... وكوندي تحتفل بالفوضى... وهي بحالة سيولة فكرية - بعدما أدركها سن اليأس - ... من الشرق الأوسط الكبير... إلى الشرق الأوسط الجديد ... إلى حلف المعتدلين العرب ضد المتطرفين... والاعتدال هنا لافت في أعضائه واستهدافاته... فمن السعودية ومشيخات الخليج... إلى مصر مبارك.... إلى أردن عبد الله الثاني... وفي القلب منهم «إسرائيل»... والمستهدف هم هؤلاء المتطرفون المتطاولون أعداء الديمقراطية: السوريون والإيرانيون والفلسطينيون... واللبنانيون المقاومون... وتفضلهم «كوندي» قتلى... فالمسرح العراقي امتلأ بالجثث والبروفة اللبنانية هدمت آلاف البيوت فوق الرؤوس البريئة... حتى صار لكل مجزرة قائمة: من قانا الأولى إلى الثانية... ومن نبطية الفوقا.. إلى مروحين ومارون الرأس وبنت جبيل والضاحية... إلى جامعة بيروت العربية... قتل لا ينتهي... بالبلطات... والبنادق والصواريخ... والقنابل الذكية والبالونات السامة... قتل لا ينتهي ولم يعد عدّ الضحايا مجدياً... ورغبة كوندي ألا يبقى ولايذر.

❖ ... أدرك بوش ووزيرته الباهرة أن أيسر طريق للديمقراطية في هذه المنطقة المظلومة من العالم... - إبادة أبنائها - والدور الآن على المتطرفين... أما المعتدلون... فأمرهم هين حينما ينتهي الجزار من الثور الأبيض.

أن تكون ديمقراطياً أمريكياً... في هذا الزمان الموحش... يعني «... أن تحتفل بالوحوش... أي أن تكون وحشاً...»

صباح الخير أيتها الديمقراطية.

■■

أمطار «الشتاء الحار» تُغرق نابلس بالدم والدمار

محمد العبد الله

فجر الأحد ٢٥ شباط، اندفعت أكثر من ثمانين آلية عسكرية صهيونية، والعديد من الجرافات، المدعومة بمئات من جنود وضباط جيش العدو وسط اطلاق نار كثيف، من عدة محاور نحو مدينة نابلس كبرى مدن الضفة الفلسطينية، أهم مركز اقتصادي فلسطيني، والتي يقطنها حوالي ٥٠ ألفاً من المواطنين. العملية الوحشية التي حملت اسم «الشتاء الحار» هي الأوسع والأعنف التي تشهدها المدينة منذ عدة سنوات. فأحياء ومناطق المدينة (رفيديا، الشرقية، القصبة، الياسمينة، المخفية، رأس العين) تتعرض منازلها ومحلاتها لعمليات تفتيش وتدمير لمحتوياتها، استخدم العدو خلالها الأطفال كدروع بشرية أثناء المداهمات. حتى أن مستشفيات المدينة (رفيديا والوطني والاتحاد) محاصرة منذ بدء العملية. وكانت حكومة العدو قد لجأت لعملية قرصنة مفضوحة، إذ أقدمت على اختراق موجات عدة محطات إذاعية وتلفزيونية محلية، وقامت من خلالها ببث بيانات تناشد المواطنين عدم تقديم المساعدة والدعم لما تسميهم بـ(المطلوبين) والالتزام بمنع التجول. العملية المستمرة وغير المحددة زمنياً، كما صرح ناطق بلسان جيش الاحتلال، أسفرت في اليومين الأولين عن اعتقال العشرات من المواطنين، وسقوط شهيد وأكثر من خمسة عشر جريحاً في المواجهات العنيفة التي دارت بين المقاومين وعساكر العدو، الذي أعلن عن سقوط جريحين من قواته.

جاءت المجزرة الصهيونية الحالية لتؤكد مجدداً – خاصة للمراهنين على وهم التهدئة – أن ماتشهده نابلس ماهو إلا حلقة جديدة لم تتوقف في سلسلة الاعتداءات منذ احتلال العدو للأرض الفلسطينية. فقد شهدت الأيام الأخيرة تصعيداً ملحوظاً في عمليات القتل الصهيونية، وهو ما عبرت عنه جريمة اغتيال محمود عبيد أحد قادة سرايا القدس الميدانيين في الضفة، والذي جاء مترافقاً مع استمرار عمليات هدم طريق باب المغاربة المؤدي للمسجد الأقصى، والتوسع في تفتيت أساساته. كما يلاحظ أيضاً زيادة عدد الحواجز الجديدة، والنشاط المحموم في عمليات تجريف عشرات الدونمات واقتلاع مئات الأشجار في أراضي محافظة الخليل.

إن هذه الجرائم المتتالية تأتي منسجمة مع التزايد الكبير للبؤر الاستعمارية، وللتوسع في المباني داخل الكتل الكبرى منها، وللتمدد المتزايد كل يوم لجدار الضم والفصل العدواني. في ظل هذه الأجواء تبدو ردود الفعل «الرسمية» الفلسطينية دون مستوى المجابهة الذي تفرضه حقائق الصراع على أرض الواقع. فمجابهة التمدد السرطاني لقوات وأدوات الموت الصهيونية، لايتم عبر بيانات «الشجب والاستنكار» بل بالمواجهة الكفاحية المسلحة والجماهيرية الواسعة، خاصة وأن ذاكرتنا مازالت تحتفظ بصور أولئك المسلحين المقنعين الذي مارسوا الخطف والإرهاب ضد أبناء شعبهم خلال الأيام السوداء الذي سادت العلاقات الداخلية الفلسطينية. إن تلك البنادق أجدر أن تكون بيد من يستحقها ويتقن تصويبها باتجاه جنود العدو، وليس نحو صدور المواطنين. لقد علمتنا تجارب المواجهات المشرفة في مخيم جنين وحي الزيتون وجباليا وبيت حانون في غزة أن مايحققه السلاح الفلسطيني أكثر جدوى من كل نداءات الاستنكار.

إن أهم درس يجب استخلاصه مما يجري على الأرض الفلسطينية من قتل وتدمير تقوم به حكومة العدو، يؤكد أن سياسة الإدانة المستندة على المزيد من «المرونة والاسترضاء» لن تجدي نفعاً مع المحتل وحلفائه الأمريكيين. فجبهة الأعداء لن تقدم التنازلات إذا لم تتعرض أدواتها ومصالحها للتهديد المباشر. فتجارب الصراع العربي-الصهيوني، كما كل الصراعات الإقليمية والدولية تؤكد أن سياسة المطالبة والاستجداء مع الأعداء لن تحقق المصالح الوطنية، بمقدار ماتفتح شهية العدو.

إن التمسك بالحقوق والدفاع عنها، يتطلب من قوى المجابهة الوطنية المزيد من الصلابة في مواجهة الحلف المعادي، وتطوير أشكال التنسيق الميدانية المسلحة والشعبية من أجل إلحاق أفدح الخسائر بعساكر الاحتلال وآلياتهم ليس في نابلس وحدها، وإنما في كل الأراضي العربية المحتلة.

■■

وسام العار لقائد العسكر الأمريكان

نشرت جريدة الأهرام في ١٩ شباط/ فبراير ٢٠٠٧ خبراً في صدر صفحتها الأولى نصه «منح الرئيس حسني مبارك القائد الأعلى للقوات المسلحة وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى للفريق أول جون أبي زيد قائد القيادة المركزية الأمريكية تقديراً لمجهوداته في دفع علاقات التعاون العسكري المصري الأمريكي بمناسبة إحالته إلى التقاعد وذلك أثناء زيارته لمصر في الفترة من ١٧ إلى ١٨ فبراير الجاري. وقد أناب الرئيس مبارك المشير حسين طنطاوي القائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع والإنتاج الحربي في تقليد الوسام» (انتهى الخبر)

ولمن يهمه الأمر فإن أبي زيد هذا ليس أبو زيد الهلالي بكل السيرة الهلالية ولا من ذريته، لكنه قائد جيش الاحتلال الأمريكي للعراق الذي قتل مئات الآلاف وشرد الملايين من أبناء العراق الحزين، أحد قادة المؤسسة العسكرية الأمريكية عدوة شعب مصر وشعوب العالم العربي والحركات الوطنية والتحررية في العالم أجمع، حليف قادة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية قاتلي أبنائنا في سيناء وأبو زعبل وبحر البقر وأبناء فلسطين وسورية ولبنان.

لكن ما معنى تقدير مجهوداته في دفع علاقات التعاون العسكري المصري الأمريكي؟ هل يعقل أن يكون هناك تعاون بين تابع ومتبوع؟ إلا إذا كان هذا التعاون هو فتح المياه الإقليمية والأرض والسماء للقوات الأمريكية لتجري مناورات التجهيز لأي عملية عسكرية تنوي أمريكا شنها على شعوبنا العربية، فيما يسمى مناورات النجم الساطع، أو تقديم التسهيلات الأرضية والجوية والبحرية لقواتها للمرور والعبور والتحليق لضرب أخوتنا في العراق ولبنان وأفغانستان والتجهيز لضرب إيران وسورية وحزب الله في لبنان، ومساعدتها بالفعل أو بالاشتراك أو حتى بالصمت في خططها لفرض الشرق الأوسط الجديد بما يستدعيه من تقطيع لأراضي بعض دول المنطقة وبعث الفوضى القاتلة بين شعوبها ببعث النزاعات الطائفية والمذهبية والعرقية .

هل كان الإعداد لتقليد أبي زيد هذا الوسام بدءاً من صلاة الشيخ المشهور ركعتين لله على هزيمة الجيش المصري في حرب ١٩٦٧؟ أم عند الكيلو ١٠١ بعد حرب ١٩٧٣؟ أم يوم توقيع معاهدة كامب ديفيد ١٩٧٨؟ أم يوم توقيع معاهدة «السلام» ١٩٧٩؟ أم يوم توقيع اتفاقية أوسلو١٩٩٤؟ أم يوم توقيع الكويز ٢٠٠٥؟ أم يوم الحرب علي العراق في الكويت ١٩٩١؟ أم يوم الصمت على غزو العراق٢٠٠٣؟ أم يوم إدانة حزب الله في مواجهته الظافرة مع العدو الإسرائيلي في صيف ٢٠٠٦؟ أم يوم حصار الحكومة الفلسطينية المنتخبة انتخابا حراً؟ ثم جاء الوسام تتويجا لكل هذا؟

بالطبع تقليد وسام الاستحقاق سيصدر به قرار جمهوري ينشر في الوقائع الرسمية. ماذا سيقول باحث شاب في التاريخ المصري بعد خمسين عاما وهو يقلب أوراق تاريخ مصر؟ كيف سيفسر هذا الوسام؟ هل سيسمي الفترة فترة حكم المماليك والأغوات الجدد بعد إنهاء عصر المماليك البحرية والبرجية؟ وما صفة هؤلاء المماليك؟ هل هم المماليك الأمريكية؟ وكيف سيتصور مشاعر وأحاسيس المشير قائد جيش مصر وهو يقلد قائد جيش الأعداء وسام الاستحقاق؟ هل كان عليه أن يمتنع؟ هل سيستمع الباحث إلى همهمات أصوات في أركان التاريخ يؤرخ لها بالفترة من ١٧ إلى ١٨ فبراير ٢٠٠٧ تقول:

أبشروا يا كل العمال ، والفلاحين ، والموظفين ، والمتعطلين ، يا كل فقراء مصر ومثقفيها الوطنيين من أجلكم نهدي عدوكم الوسام ليسود السلام ويعم الوئام، ولتنعموا بنوم هادئ ولذيذ تحت أقدام الطغاة، فالراحة أفضل من مواجهة الحَياة. والكلام عن الوطنية والحياء والكرامة والجهاد والكفاح كلام ولى زمانه، فنحن في زمن الزناة.

فيا شهداء مصر بدءاً من عمال حفر القناة حتى حروبنا في سيناء وفلسطين، ويا شهداء مصرَ في الحركة الوطنية الديمقراطية ضد الاحتلال والسراي... يا عرابي.. ياانديم.. ياسعد.. يانحاس.. ياجمال عبدالناصر... عذراً..

بل عذرا يا «هالة شو» فقد ظلمناك، فالدعارة في مكان آخر .

ويا طبيبي الذي يعالجني من الذبحة الصدرية.. لم يعد لي علاج لديك، علاجي في مستشفى الأمراض العقلية أو رصاصة من أبي زيد !!

■ **أحمد عبد الحليم حسين**
موقع اللجنة المصرية لمناهضة الاستعمار والصهيونية

كل اليسار في الهم واحد تعددت الأسماء والأزمة واحدة

«نريد حزبا اشتراكيا حقيقيا. وراءنا تاريخ عمره مائة عام من الانقسام. لا نريد مواصلة الماضي. ما نعمله الآن هو جمع اتجاهات يسارية مختلفة داخل حزب واحد ذي نفوذ جماهيري حقيقي».

الحزب الذي نريده هو حزب أممي، حزب مناهض للحروب، حزب للعدالة الاجتماعية، حزب يعيد طرح قضية «الملكية». سياسات الخصخصة وزعت المال على جيوب قليلة. نحن من أنصار أشكال متعددة من الملكية. ملكية الدولة، ملكية البلديات، الملكية التعاونية، والملكية الخاصة. هذا أفضل للشعب. نريد توزيع الثروة بشكل عادل، ولا نقبل ما هو جاري الآن حيث يزداد الأغنياء ثراء ويزداد الفقراء فقرا. على الأثرياء أن يدفعوا ضرائب.

نريد أيضا تطوير الديمقراطية بإثرائها بعنصر الاستفتاءات العامة، وضمان الحق في الإضراب السياسي.»

هذا ليس كلامي ولكنه كلام فولفجانج جيركه المتحدث باسم حزب اليسار الألماني والنائب في البرلمان الألماني البوندستاغ في حوار مع نبيل يعقوب.

«إن بلدنا مقبل على مخاضات سياسية واجتماعية-اقتصادية عسيرة وحتى كثير من التطورات الفجائية؛ تدفع باتجاهها مجمل عناصر الأزمة العميقة المتنامية داخل النظام الطبقي السائد محليا واتجاهات تطور أزمة الرأسمالية الامبريالية المستعصية على نطاق عالمي؛ وهو ما تشي به الانفجارات الدورية المتقاربة للنضالات الجماهيرية وتنامي الكفاحات العمالية بشكل مطرد؛ وتصاعد النضالات الثورية للشعوب والأمم المضطَهدة في مواجهة أشكال الاحتلال والأطماع والهيمنة الامبريالية-الصهيونية-الرجعية داخل عدد من البلدان؛ وهذا ما يلقي على عاتق الحركة الماركسية اللينينية مهمات كبيرة بدءاً من التحرك من أجل لملمة قواها ورفع يقظتها ووعيها؛ وابتكار الأشكال المناسبة للتجميع والتنظيم بما يناسب ظروفها الخاصة! وصولاً إلى الإسهام الواعي في صياغة المتطلبات الثورية للمرحلة...»

وأيضا هذا ليس كلامي وليس عن مصر بل أنه كلام الحركة الماركسية اللينينية المغربية حول راهنية الصراع ضد التحريفية في المغرب!!!

رأيتم كلنا في الهم واحد من درسدن إلى الرباط ومن الخرطوم إلى اسطنبول.

علشان كدة فإن «يا عمال العالم اتحدوا!» ستظل مقولة صحيحة

■ **إلهامي الميرغني**
مجموعة اليسار التقدمية/ مصر

كاريكاتير واشنطن بوست في ٢٢ شباط

بوش يمسك بالقرار غير الملزم الذي اقترحه الديمقراطيون ويقول إن أفكارهم الخاصة بالانسحاب من العراق هي ببساطة خطة «نزيف بطيء» ولذلك فإني اقترح شيئاً مختلفاً تماماً: الخطة «الناعورية» (نزيف الدم)!

■■

الرفيق د.خالد حداده محاضراً في دمشق:

« المشروع الأمريكي لم يفشل بعد.. ولا خيار سوى المقاومة!»

احتضنت مكتبة الأسد بدمشق مساء الاثنين ٢٠٠٧/٢/٢٦ محاضرة للرفيق د. خالد حداده الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني بعنوان: «أشكال المقاومة للمشروع الأمريكي وإمكانية التكامل بينها».

في بداية محاضرته توقف د. حداده عند رحيل المناضل والمثقف الكبير الرفيق جوزيف سماحة بوجدانية مستفيضة، معدداً بعض مناقبه، ومؤكداً أنه خسارة كبيرة للإعلام العربي الملتزم ولليسار العربي بشكل عام..

ومع بدء عرض مفاصل المحاضرة حذر د. حداده من التفاؤل غير المرتكز على الوقائع فيما يخص فشل المشروع الأمريكي في المنطقة، وأكد أن هذا المشروع لا يمكن اعتباره أنه قد فشل حتى الآن، فهو ما يزال قائماً ويبذل القيمون عليه كل ما بوسعهم لإنجاحه، وفي هذا الإطار عدّد د. حداده بعض النقاط والمواقع التي حقق فيها المشروع الأمريكي بعض النجاحات والاختراقات سواء في العراق والفتن الدموية التي ماتزال قائمة ومستعرة في بعض مدنه، أوفي فلسطين التي وصل الأمر ببعض فصائلها الوطنية إلى مرحلة الاقتتال، أو في لبنان الذي ما يزال يعاني من ثقل الانقسام السياسي، وغيرها ..، ثم، ومن جهة أخرى راح يعدد مواقع الاستعصاء والفشل التي تواجه المشروع في المناطق ذاتها، بفضل القوى والحركات والأحزاب المقاومة والممانعة.. والتي أكد أن تماسكها ووحدتها وتصاعد قوتها سيجعل من دورها العامل الأبرز في فشل المشروع الأمريكي الصهيوني وهزيمته..

واعتبر د. حداده حرب تموز نقطة مفصلية في مواجهة هذا المشروع، حيث فقد المشروع اندفاعاته الأولى وراح يراوح في مكانه ويقف على رمال متحركة، ونتيجة ذلك رأى د. حداده أن الأمريكان أمام خيارين:

إما الاعتراف بالهزيمة، والانسحاب من العراق ومن المنطقة عموماً والكف عن التصعيد وبالتالي اعتماد كل ما من شأنه إيقاف جريمتهم ضد الشعوب عامة بما في ذلك الشعب الأمريكي ذاته، والقبول على سبيل المثال بتقرير (بيكر –هاملتون) كأحد مرتكزات تصويب السياسة الخارجية الأمريكية..

أو محاولة الهروب إلى الأمام، وذلك بالاستمرار في محاولة فرض مشروعهم «الجديد» بالطرق والأساليب ذاتها مع مزيد من التصعيد، وهذا إن اعتمد فسيزيد من وقع الهزيمة ومن كلفة الخسارة..

وبرأي د. حداده فإن هذا ما يمضي «الأمريكي» فيه حتى الآن بناء على كل ما نسمعه ونراه..

وبالانتقال إلى محور جديد، وهو محور القوى الممانعة للمشروع الأمريكي، أكد د. حداده أن هناك خللاً تاريخياً في القوى والأحزاب العربية، وهو أنها لم تستطع الربط بين التحرير والتغيير، وضرب على ذلك أمثلة عديدة من بينها مثال الانتصارات التي حققتها المقاومة اللبنانية منذ انتصاراتها في الثمانينات من القرن الماضي وحتى انتصار تموز ٢٠٠٧ حيث لم تستطع استثمار انتصاراتها والمضي فيها فكرياً وسياسياً واجتماعياً.. وانطلاقاً من ذلك وجه د. حداده انتقادات للحزب الشيوعي اللبناني واليسار العربي عموماً والذي رأى أنه غرق في مشاكله الداخلية.

واستغرب حداده محاولة بعض قوى اليسار العربي استثمار المشروع الأمريكي لمصلحتها وركوب موجته، وسأل: هل يمكن فعلاً الاستفادة من هذا المشروع أم أن اليسار هو أول من سيطحن في هذه المعمعة؟ وفي هذا الإطار أكد د. حداده أن اليسار العربي ما يزال في حالة من الانهزام والتراجع لأسباب عديدة وعميقة، وأملاً في تجاوز ذلك فإن الحزب الشيوعي اللبناني تحديداً قام ويقوم بعمليات تقييم وإعادة قراءة للتجربة السابقة، وأبرز ما يجري انتقاده ذاتياً اليوم هو:

ما حدث سابقاً من تغليب للأشياء الثانوية، وتغليب الشؤون القطرية، والالتزام ببعض المواقف الخاطئة التي انتهجتها الحركة الشيوعية العالمية..

وفي المحور الأخير للمحاضرة، وهو محور الاستحقاقات الراهنة رأى د. حداده أن هناك استحقاقات هامة يجب أخذها بعين الاعتبار والاستفادة قدر الإمكان منها:

١ – القمة العربية القادمة: وهي فرصة للأنظمة لاتخاذ قرارات وإجراءات من شأنها مقاومة التفتيت الذي يسعى وراءه المشروع الأمريكي في المنطقة..

٢ – بما يتعلق بالقوى والأحزاب: رأى أن عليها: مواجهة المشروع الأمريكي، والنضال من أجل الإصلاح السياسي والقبول بالديمقراطية في الممارسة السياسية، وأخيراً المطالبة بالتنمية الشاملة والعدالة الأجتماعية

٣ – الحوار الجدي بين مشاريع مقاومة المشروع الأمريكي..

وعقب انتهاء د. حداده من المحاضرة جرى حوار موسع مع الحضور، وكان أغلب المداخلين من الشباب الذين تطرقوا في مداخلاتهم إلى قضايا هامة ومتنوعة، كضرورة فتح جبهة الجولان، وأهمية عودة الشيوعيين السوريين واللبنانيين بقوة إلى حيز الفعل والتأثير، وفتح الأفق لتحالفات جديدة بين مختلف القوى الرافضة للمشاريع الإمبريالية والصهيونية على أساس تحقيق مطالب الجماهير السياسية والاقتصادية والاجتماعية..

ورداً على سؤال من مراسل قاسيون حول أزمة الحزب الشيوعي اللبناني ورأيه بخصوص التجربة الجارية لوحدة الشيوعيين السوريين، قال د. حداده إن هناك تضخيماً لما يجري في صفوف الحزب الشيوعي اللبناني موضحاً من جانب آخر أنه يبارك أي خطوة باتجاه وحدة الشيوعيين السوريين لما في ذلك من منعكسات إيجابية على وحدة الصف الوطني السوري وقوة موقف سورية في مواجهة التحديات.

وفي ختام المحاضرة، وفي إطار تعقيبه على بعض المداخلات بيّن د. حداده أن هناك من حاول ويحاول أن يفرض خيارين لا ثالث لهما: إما السير في المشروع الأمريكي، وإما الميل نحو الإرهاب أو الديكتاتورية، أما «نحن» – ويقصد الشيوعيين اللبنانيين– فقد اخترنا خياراً ثالثاً هو..المقاومة...

■ **متابعة: جهاد أسعد محمد**

● **تصوير: غيفارا نمر**

بلا أوهام..

في زاوية «أربعائيات» بصحيفة تشرين كتب د. مهدي دخل الله وزير الإعلام السابق يوم ٢٠٠٧/٢/٢١ رأياً فيه اتهام مبطن ومستغرب لكل من يرفض هيمنة قطب الامبريالية العالمية على الشعوب قاطبة والعرب منهم. وقد استنتجنا ذلك من العنوان الذي اختاره د. مهدي لآرائه الجديدة علينا ألا وهو: «لماذا التباكي على ثنائية القطبية؟»

دون أية مقدمات يدخل الكاتب في النتائج ليقول: «في عصر ثنائية القطب خسرنا أولاً فلسطين، ثم بعد عشرين عاماً الجولان والضفة والقطاع وسيناء، واحتل القسم الأكبر من لبنان بما فيه العاصمة بيروت..» ويتابع أنه «بعد انهيار الثنائية سجلنا أول انتصارين ناجزين على إسرائيل في لبنان عام ٢٠٠٠ و ٢٠٠٦، وبدأ الشعب الفلسطيني يحقق إنجازات مدهشة على تراب فلسطين، واتحد اليمنان واستطاع العرب التوصل إلى موقف مشترك في قمة بيروت»..

لن ندخل هنا في سجال حول الأسباب الحقيقية للهزائم أو اختزال نضال الشعوب العربية على مدى قرن كامل فقط بتحرير الجنوب اللبناني، والانتصار العظيم في حرب تموز الماضي، أو حول حقيقة وقيمة ما اتفق عليه العرب في قمة بيوت خصوصاً بعد أن داسته دبابات شارون، وحولته إلى «خارطة طريق» بموافقة أصحاب المبادرة أنفسهم.

من الواضح هنا أن المقدمات الخاطئة تفضي إلى استنتاجات خاطئة. فالمسألة الأساس ليس قضية التباكي على الثنائية، بل في تشوش الرؤية. إذا افترضنا حسن النية لدى أولئك القائلين إننا نعيش عصر «القطب الأوحد»، فهذا وهم محض، لأن الصراع الأساسي على المستوى العالمي كان ولم يزل بين الامبريالية والصهيونية العالمية من جهة، وبين الشعوب من جهة ثانية، فهذه هي الثنائية الحقيقية والموضوعية موجودة قبل انهيار الاتحاد السوفييتي وبعده، رغم كل نظريات نهاية التاريخ ومقولات المحافظين الجدد والمستعمرين الجدد والليبراليين الجدد وبعض المحبطين من شيوعيين وقوميين ممن كانوا محسوبين على معسكر الشعوب.

لاشك أن انهيار الاتحاد السوفييتي الذي كان حليفاً للشعوب، وقوتها الضاربة، أدى إلى خلل خطير في ميزان القوى الدولي لصالح أعداء الشعوب، وغير التوازنات بين قطبي الشعوب والامبريالية العالمية. لكن هذا التغيير تبين أنه ليس قدراً لا مرد له، حيث لم يمض عقد من الزمن حتى بدأ قطب الشعوب بالانتقال من مواقع الدفاع إلى الهجوم، حيثما توفرت الإرادة السياسية للمواجهة والمقاومة الشاملة من مارون الراس في الجنوب اللبناني إلى كركاس في فنزويلا!

..وبالعودة إلى بعض ما كتبه د. مهدي، نستغرب ولانوافق على استنتاجه المريب بأنه «من حيث المبدأ لن يساعد الاتحاد السوفياتي على ظهور مقاومة إسلامية في هذه المنطقة، بل ربما لن يسمح بمقاومة قومية...»!

وفي مكان آخر يصل التحليل عند د. مهدي إلى «فرضية» تركها أصحابها منذ زمن بعيد، لخطلها وتناقضها مع الوقائع، ألا وهي: «لو ظهر المشروع الإسرائيلي بصيغة اشتراكية وبتوجهات سياسية متفقة مع هذه الصيغة لوجد دعماً مطلقاً من المعسكر الاشتراكي..»! لايستقيم النقاش أصلاً مع «فرضيات» كهذه، لأن الصهيونية العالمية اندمجت منذ أواخر القرن التاسع عشر بالامبريالية العالمية، وكانت ولازالت أخطر أدوات الامبريالية المتوحشة..

أما من حيث «اتهام» الاتحاد السوفييتي بعدم السماح بقيام مقاومة قومية وإسلامية، سنذكر إن نفعت الذكرى، بتأييد الاتحاد السوفييتي للثورة السورية الكبرى ١٩٢٥-١٩٢٧ ، واستخدامه حق النقض لصالح استقلال سورية ١٩٤٦ ، ودعم مقاومة الشعب المصري ضد العدوان الثلاثي ودعم الثورة الفلسطينية، وإعادة تسليح الجيشين المصري والسوري بعد عدوان ١٩٦٧، وحماية سماء مصر بالصواريخ والطائرات قبل الوصول المشبوه للسادات إلى السلطة، ومن ينسى موقف الاتحاد السوفييتي في حرب ١٩٧٣ وحرب الاستنزاف التي شنتها سورية ضد إسرائيل بعد خيانة السادات وإيقاف الحرب من طرف واحد؟ ومن دعم سورية ولبنان بعد عدوان ١٩٨٢؟ وأين تدربت كوادر المقاومة اللبنانية في البدايات؟؟ وهل هناك قطع بين النجاحات التي حققتها المقاومة منذ احتلال بيروت، وبين التحرير عام ٢٠٠٠ وهزيمة عدوان تموز ٢٠٠٦؟

دعك يا دكتور مهدي من الاتحاد السوفييتي، ألا تذكر ما كتبه الأستاذ حسنين هيكل عما قاله السادات لضيفه هنري كسنجر يوم ٢٨ تشرين الأول ١٩٧٣ : «هذه آخر الحروب ضد إسرائيل، وأن ٩٩٪ من أوراق الحل بيد أمريكا، ولن تقوم قائمة للسوفييت بعد الآن في الشرق الأوسط...»..

لقد صدق المثل الشعبي: «إن بردنا من غطانا»، آي من مثل هؤلاء الحكام المرتهنين لأمريكا والصهيونية، وهم الآن أكثر ارتهاناً مما كانوا في ذلك الوقت، فهم من وصف المقاومة بالمغامرة، وهم من دخل الاحتلال الأمريكي عبر أراضيهم ومياههم وأجوائهم لاحتلال العراق، وهم الآن يؤيدون توسيع رقعة العدوان ضد سورية وإيران ولبنان، وضد المقاومة الفلسطينية. لكن لشعوبنا خيارات أخرى وأهمها خيار المقاومة!

«اليوم لايوجد اتحاد سوفياتي لكن هناك مقاومة» وهذا يؤكد مجدداً استمرار قانون الصراع بين طرفي الثنائية (امبريالية - شعوب)، والقول الفصل فيما سيأتي هو التزام خيار المقاومة والتصدي لتحرير الأرض من الاحتلال في الجولان ولبنان والعراق وفلسطين، وإجهاض ما يسمى مشروع الشرق الأوسط الكبير.. ومن هنا فإن أي حديث عن أحادية قطبية أمريكية إنما يستهدف – ولو بحسن نية – القطب الآخر ومسيرة نهوضه بما يندرج في «الاستباق» عليه، حسب الموضة الأمريكية الدارجة.

■ **حمزة منذر**

بين إستراتيجية «إعادة التوجيه» والاستجداء الجنبلاطي

إضافة أخرى إلى سلسلة مصطلحات وسياسات «الفوضى الخلاقة» يقدمها البيت الأبيض الأمريكي، فقد كشف الصحافي الأمريكي سيمور هيرش عن الإستراتيجية الجديدة لذاك البيت بهدف ضرب كل من إيران ولبنان وسورية من الداخل وذلك تحت اسم «إستراتيجية إعادة التوجيه». أما مهندسو خطة إعادة التوجيه فهم ديك تشيني نائب الرئيس جورج بوش، إليوت ابرامز نائب مستشار الأمن القومي، زلماي خليل زاد السفير الأمريكي في العراق.

وذكر هيرش في مقالته المنشورة في مجلة «نيويوركر» الأمريكية أن واشنطن تدير عمليات سرية في إيران ولبنان وسورية «توجه من قبل تشيني» وتعتمد بشكل كبير على السعودية وعلى مستشار الأمن القومي السعودي الأمير بندر بن سلطان. وأضاف انه في بعض الحالات تعتمد العمليات السرية على تمويل السعودية ومستشارها الأمني.

وينقل هيرش عن مصدر حكومي أمريكي قوله إن الأمير بندر قال للأميركيين «لا تخشوا السلفيين، نحن من صنعهم ونحن من يقدر على ضبطهم،

سيمور هيرش - أرشيف

لا نقول إننا لا نريدهم أن يرموا القنابل، بل أن يرموها على حزب الله وإيران ومقتدى الصدر والسوريين».

وحسب المقالة فإن إدارة بوش تصعد من عملياتها السرية في إيران في إستراتيجية جديدة تهدد بمواجهة مفتوحة مثلما يقوم العديد من الأشخاص في لبنان تحت عنوان أنهم من ممثلي حكومة السنيورة بتقديم المال والسلاح لبعض الجماعات المتطرفة في الشمال والبقاع والجنوب بهدف فرض الفتنة المذهبية.

وكتب هيرش أن الجيش الأمريكي وفرق العمليات الخاصة زادت من نشاطاتها داخل إيران، وأنها تدخل ذلك البلد من العراق لجمع المعلومات الإستخباراتية، وتجنيد العناصر الإيرانية مؤكدا أنها مستمرة منذ أشهر، موضحاً أن إدارة بوش تضخ مبالغ طائلة دون تصريح من الكونغرس ودون إشراف منه للإنفاق على العمليات السرية ذات الطابع التفتيتي المذهبي في العديد من مناطق الشرق الأوسط.

وأضاف هيرش ان الإستراتيجية الأمريكية الجديدة دفعت السعوديةَ وإسرائيل إلى ما يشبه «العناق الاستراتيجي الجديد»، كون البلدين ينظران إلى إيران على أنها تهديد وجودي. موضحاً أن السعوديين والإسرائيليين دخلوا في محادثات مباشرة، ليصبحوا أكثر تدخلاً في المفاوضات العربية الإسرائيلية، لانهم يعتقدون أن استقراراً أوسع في إسرائيل وفلسطين سيعطي لإيران نفوذاً أقل في المنطقة. ويشير هيرش في مقاله نقلا عن مصادر حكومية اميركية الى ان اهم عناصر التوجه الجديد هو التأكيد على أن أمن إسرائيل هو أولوية وأن واشنطن والسعودية والدول الخليجية الأخرى تشاركها قلقَها حول إيران، وعلى السعوديين حث حماس على التخفيف من عداوتها لإسرائيل والبدء في محادثات جدية حول التشارك في القيادة مع فتح. كما تُوفرُ الحكومة السعودية، بموافقة واشنطن، الأموال والمساعدة اللوجستية لإضعاف النظام في سورية.

وأشار هيرش إلى خطة أمريكية لضرب إيران، حيث أبلغه مسؤول استخبارات سابقا، أنه تم تشكيل فريق خاص للتخطيط على مستوى كبار القادة العسكريين وأن خطط الطوارئ الحالية تسمح بتنفيذ هجوم بحلول الربيع. وأضاف الصحافي الأمريكي أن إدارة بوش تحاول بناء ملف من الاتهامات ضد إيران.

نشر دراسة هيرش زامنتها زيارة وليد جنبلاط إلى واشنطن، ولقاءه من ضمن مسؤولين أمريكيين رفيعي المستوى آخرين، بالرئيس الأمريكي ذاته في عرف غير مسبوق في بروتوكولات البيت الأبيض. ولم يتوان جنبلاط عن طلب المعونة العسكرية بعد السياسية من الإدارة الأمريكية لمواجهة ما وصفه بالاحتلال السوري غير المباشر للبنان المتمثل بحزب الله.

وقال جنبلاط في محاضرة ألقاها أمام معهد أمريكان انتربرايز إن لبنان مجتمع تعددي ومفتوح وديمقراطي، ولكنه يواجه الآن حزب الله الذي يمثل ما وصفه بإيديولوجية توتاليتارية تدعمها دول توتاليتارية مثل إيران وسورية، دون أن ينسى التحذير من أن سقوط حكومة السنيورة سيؤدي إلى اضطرابات في لبنان والشرق الأوسط معترفاً في الوقت ذاته بأن ذلك سيكون بمثابة هزيمة لمن اسماهم بقوى الاعتدال والإصلاح في المنطقة...

بدون تعليق ..

الآن المصائر تتحدد...

بقلم إبراهيم بدراوي
القاهرة - خاص قاسيون

اقتربنا من الذكرى الرابعة للغزو الأمريكي للعراق.
ينبغي أن نتعلم من عبر الحاضر ومن دروس التاريخ..
حينما بدأت الحرب على العراق وشعبه، وهي حرب في جوهرها تستهدف إحداث انقلاب استراتيجي في الإقليم يراد له أن يكون أساسا لانقلاب استراتيجي على مستوى العالم - فان العدو الأمريكي قام بتدمير كل شيء فيما عدا مقر وزارة النفط لأسباب معروفة.

منطق استعماري..

إن كيان الدولة - أي دولة - يتمثل في قوتها الشاملة (السياسية- الاقتصادية –الاجتماعية - الثقافية - العلمية - العسكرية أي منظومة القوة)

من هنا كان الحرص على تدمير عناصر القوة الشاملة للدولة العراقية والحرص الأكبر على التدمير النهائي لمنظومة القوة فيها لإحداث تقويض كيان الدولة وليس مجرد إسقاط السلطة فيها.

ومن قبيل الغفلة بل والتواطؤ تبرير أو تصديق ما يقال عن بناء جيش في العراق واستكمال منظومة قوة تقوم بوظائفها في حماية الوطن والشعب. فلم يحدث أبدا أن قام محتل ببناء عناصر منظومة قوة لبلد قام باحتلاله.

نفس المنطق يحكم ادعاءات تسليح منظومة القوة في أي دولة، عدا الدولة اليهودية.

الهدف الأمريكي الصهيوني يستهدف تقويض دول المنطقة حربا أو سلما كمقدمة لتفتيتها إلى شظايا وتنفيذ المشروع الأمريكي الصهيوني (الشرق الأوسط الجديد).

إذا كان ما حدث للعراق يعطينا عبرة الحاضر - وهو مرئي وملموس ولا يحتاج لوصف مستفيض فإن الأخطر هو أنه لا منجى لأي من دول المنطقة من أن يشملها المشروع المعادي. ورغم أن المشروع قد ترنح على صخرة المقاومة اللبنانية الباسلة فإن ذلك إلى حين كما أن الخطر الأعظم يهدد مصر مثلما يهدد الإقليم كله.

اللبرلة الاقتصادية: قصف تمهيدي

الخطر الأعظم على مصر لا يأتي من الخارج فقط ولكن من الداخل أيضاً وحجم هذا الخطر هائل لكونه متناسبا مع دور مصر وأهميتها .ولذلك فليس غريبا تصاعد أداء التدمير المنهجي لمصر منذ وقت مبكر وعلى مدى يزيد على ربع قرن وهو بمثابة إعداد المسرح لما هو قادم للإقليم.

هذا التدمير الواسع منصب وبوحشية على عناصر القوة الشاملة للدولة المصرية، فقد تم التخلي عن مشروع التنمية الشاملة الطامح إلى الاستقلال والتقدم والنهضة.

ودخلت البلاد إلى مرحلة من الردة التي أعادتها إلى التبعية الكاملة والمباشرة من جديد على أيدي طبقة كمبرادورية تم تسريع بنائها ودعمها من أعلى داخليا وخارجيا على السواء وتم إطلاق يد هذه الطبقة للنهب والاستغلال والفساد وتدمير الاقتصاد تحت مسمى الحرية الاقتصادية واقتصاد السوق حيث تم تدمير واسع للصناعة الوطنية وللزراعة عبر وباء الخصخصة وفتح الباب أمام رأس المال الامبريالي والصهيوني ليقوم بعملية نهب وحشي وفوضوي لا سابق له وما تبع ذلك من سياسات اجتماعية دمرت عنصر القوة الاجتماعية عبر كنس كافة المكتسبات التي تحققت خلال الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي للطبقة العاملة وفقراء الفلاحين والفئات الوسطى وسائر الكادحين وشاع الفقر والإملاق والبطالة واستفحلت ظاهرة أطفال الشوارع الخ.

العدوان الثقافي السياسي

ولحقت بالثقافة الوطنية أضرار فادحة كما تجري عملية تدمير للمنظومة القيمية للمجتمع وكذا إضعاف روح الانتماء وتراجع لحد الاضمحلال دور مصر العربي والإقليمي والدولي وترنحت الحياة السياسية تحت وطأة استسلام الشطر الأكبر من النخبة السياسية أو تكيفت واحتواها الحراك الاجتماعي المصاحب للسياسات المطبقة وانجراف جزء منها إلى ما يسمى بالجمعيات الأهلية الممولة امبريالياً وصهيونياً والعمل وفق أجندات المولين. باختصار تم تقويض عناصر القوة الشاملة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والروحية إلى درجة مفزعة في سياق الإسهام في إعداد المسرح تماما أمام الانقلاب الاستراتيجي في الإقليم وتحقيق مشروع الهيمنة الأمريكية الصهيونية.

غير أن العنصر الوحيد الذي استعصى على التدمير رغم ما قد يكون قد أصابه من أضرار أدبية في الحد الأدنى كان عنصر (منظومة القوة) الذي يعتبر حتى الآن عنصر المناعة التي تحول دون انهيار البلاد باعتباره العمود الفقري للدولة.

استحضار التاريخ: الجيش الهدف والمفتاح

من المفيد في الظروف المفصلية والانعطافات الحادة أن تتم محاولات لاستحضار مراحل تاريخية معينة أو أحداث لها طابع استثنائي للخروج ببعض الاستخلاصات بالاستفادة من عبر ودروس التاريخ.

أوائل القرن التاسع عشر كانت مصر قد بدأت تنفض غبار قرون من النهب والاستبداد والتخلف تحت حكم العثمانيين وبدأ والي مصر محمد على باشا بعد تعيينه وإحلال الاستقرار في العمل على انجاز مشروع للنهضة. وقطعت مصر شوطاً هائلاً على طريق التطور في الصناعة - بما فيها صناعة السلاح التي كانت تضاهي نظيرتها في بلدان أوربا المتطورة صناعياً- كذلك تطوير الزراعة والري والتعليم وبناء جيش قوى ومدرب وحديث زاد تعداد ضباطه وجنوده على (ثلث) مليون مقاتل في حين كان سكان مصر لم يصل تعدادهم إلى أربعة ملايين نسمة.

وفزعت أوربا بقدر ما فزعت الدولة العثمانية إذ أن مصر قد بدأت في مباشرة دورها الإقليمي التاريخي ذلك أن مصر من وجهة نظر الدول الأوربية والدولة العثمانية يجب أن تظل منكفئة على نفسها داخل حدودها وألا تتطلع لأي تأثير مادي أو معنوي خارج حدودها الجغرافية.

إن هذه النهضة الهائلة والشاملة حمل عبء قيادتها تحالف قاد جانب منه (ساري عسكر) إبراهيم باشا ابن محمد علي والقائد العسكري الفذ وقاد الطرف الآخر من التحالف رفاعة رافع الطهطاوي ممثلاً للمثقفين المصريين كالطليعة الشعبية في ذلك الوقت. وكان هذا التحالف هو القلب النابض والرافعة وقوة الدفع لمشروع النهضة.

لقد أدرك إبراهيم باشا ورفاعة الطهطاوي أن النهضة لا تتحقق سوى ببناء القوة الشاملة وفي القلب منها منظومة القوة.

التاريخ يعيد نفسه

في مواجهة مشروع محمد على باشا تنادت أوربا والدولة العثمانية وأقاموا تحالفا دوليا (فالتحالف الدولي قديم) وشمل هذا التحالف الأتراك العثمانيين وغالبية دول أوربا المهمة من بريطانيا في الغرب إلى روسيا القيصرية في أقصى الشرق وتصدى الحلف غير المقدس للجيش والأسطول المصريين اللذين كادا يدقان أبواب القسطنطينية.

كان الهدف هو إجهاض القوة المصرية وحبس مصر داخل حدودها فاقدة للتأثير في محيطها وفرض الأعداء على مصر شرطين رئيسيين في عام ١٨٤١ هما: سياسة الباب المفتوح في الاقتصاد - تخفيض عدد الجيش المصري إلى ١٨ ألف جندي(أي ٥٪ من حجمه). بعبارات مختصرة (تجريد مصر من مشروعها بتجريدها من قوتها الشاملة وأساسا منظومة قوتها) وانفتحت المنطقة التي كانت ماتزال عصية على الاستعمار الأوربي الذي كان قد انتشر كالوباء في كل أركان الأرض.

الجماهير عماد المقاومة

ولم تخمد روح المقاومة رغم كل ما لحق بالبلاد من دمار جراء الهجوم الكاسح للبنوك الأوربية والمرابين اليهود وكل أنواع الأفاقين في عهد الوالي سعيد باشا ومن بعده إسماعيل. إن روح المقاومة الكامنة دفعت باتجاه مقدمات نهوض جديد وبلورت قوى الثورة العرابية هذا الأمل الذي بلغ ذروته عامي ١٨٨١ و ١٨٨٢ (عامي العاصفة الثورية) وكانت القوى القائدة لهذا النهوض الثوري ممثلة في (ساري عسكر - أميرلاي أي عميد محمد بك عبيد الأكثر جذرية بين العسكريين) و(عبد الله النديم خطيب الثورة والأكثر جذرية بين المثقفين) وكان هذا التحالف مسلحا برؤية اجتماعية متقدمة ورؤية سياسية متطورة طرحت ضرورة عزل الخديوي توفيق وإعلان الجمهورية بما يستتبعه من الاستقلال عن الدولة العثمانية وكذا توجه عميق نحو الفقراء وخاصة الفلاحين.

وهكذا ولمرتين يفصل بينهما أقل من نصف قرن يكون الطريق إلى المشروع النهضوي والوطني قائماً على أكتاف منظومة القوة والمثقفين، إذ مثل المثقفون في ذلك العصر طليعة القوى الشعبية في البلاد.

بعد الاحتلال بسنوات بدأت يقظة جديدة بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد للمطالبة بالجلاء إلى أن اشتعلت ثورة شعبية عارمة في عام ١٩١٩ والتي أبلى فيها العمال والفلاحون والمثقفون بلاءً عظيماً، إلا أن قيادتها البرجوازية الوطنية لم تكن تحمل مشروعا نهضويا شاملا ولا حتى الحد الأدنى من الأهداف الاجتماعية بل وتم وصف الجماهير الشعبية التي حملت على عاتقها الفعل الثوري بأنهم (رعاع).

وانحصر برنامج البرجوازية فقط في المطالبة بالجلاء والدستور، ووجه الحزب الشيوعي المصري الذي كان علنيا مابين عامي ١٩٢١ و١٩٢٤ بقسوة بالغة وتم حله واعتقال كوادره ومصادرة ممتلكاته. ونتيجة لانفراد البرجوازية وكبار ملاك الأراضي بالحكم فقد ظلت تراوح في مكانها بالنسبة لجلاء الاحتلال بين مفاوضات تبدأ ومفاوضات تنفض حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .

هل يمكن بناء الاشتراكية دون اشتراكيين؟

ورغم أنه لم يقدر لثورة يوليو التي قادها الجيش أن تتحالف مع طليعة الطبقة العاملة إذ أن التطورات الطبقية والسياسية لتلك الفترة كانت قد أفرزت قاعدة اجتماعية تمثلت في الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين الذين شهدت سنوات ما قبل الثورة العديد من انتفاضاتهم، لكن تعقيدات سابقة على الثورة ومصاحبة لها، تحتاج إلى دراسة خاصة، قد أعاقت التحالف المنشود . غير أنه لابد من الاعتراف أن جمال عبد الناصر بذاته وبصرف النظر عن زملائه كان يحمل مشروعا نهضوياً وتحرريا وتقدميا وقام بتطوير هذا المشروع حتى وفاته.

مع تطور ثورة يوليو التي لم تكن مستندة لتنظيم سياسي لدى قيامها مرت بعدة تجارب حتى مرحلة التحولات الواسعة عام ١٩٦١، حيث طرح عبد الناصر موضوع تحالف قوى الشعب العاملة بين الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية لكنه أعلن في أكثر من مناسبة في منتصف الستينيات أنه يبني الاشتراكية دون اشتراكيين وربما أدرك أن البيروقراطية قد قويت شوكتها في الدولة والتنظيم السياسي وهكذا تم الانقضاض على المشروع بعد وفاة جمال عبد الناصر والانقلاب المضاد للثورة الذي قاده أنور السادات ثم توالت فصول الردة.

استنتاجات

قبل الخوض في استخلاصات حول تجاربنا يجدر التنبه إلى أن الصراع الذي نعيشه الآن ليس وليد هذه السنوات وأننا دفعنا مرارات الفشل مثلما سعدنا بالنجاحات وأننا يجب أن ندرس تجاربنا بعناية، مواطن القوة ومواطن الضعف فيها .

على أي حال يمكن تقديم عدد من الاستخلاصات أجمل أهمها فيما يلي:

الأول: أن المنطقة وجذور الصراع فيها تتعرض الآن لاستكمال لمشروع سايكس بيكو الذي يستهدف وإن بمسمى (الشرق الأوسط الجديد) تمزيق كيانات الدول العربية وباقي دول الإقليم من بحر قزوين إلى الأطلسي على أساس الدين والطائفة والمذهب والعرق وربما القبيلة أو مجموعة من القبائل شظايا متقاتلة متناحرة متخلفة خاضعة تماما للسيد الأمريكي الصهيوني وأن يمر المشروع بالحديد والنار أو سلما بالخضوع الذليل بحجة إيثار السلامة وهذا يجب مقاومته مهما كانت التكلفة، والانتصار مضمون إذا توافرت إرادة المقاومة.

ثانيا: إن العدو في كل البلدان هو في الخارج والداخل على حد سواء تجسده تلك الطبقات الكمبرادورية العميلة وليس مجرد حكام أو حكومات فتلك نظرة إصلاحية قاصرة وخادعة. التناقض الرئيسي هو بين شعوبنا من ناحية وبين الامبريالية والصهيونية وعملائهم المحليين من ناحية أخرى وهو ما يتطلب فرزا دقيقا للقوى.

ثالثا: إن العدو الإمبريالي الصهيوني يرى أن مصر بحكم دورها وثقلها لابد أن تخرج من المعادلة في المنطقة وأن تظل منكفئة على نفسها داخل حدودها لأن ذلك سوف يسهل تمرير المشروع وهذا تجب مقاومته شعبيا في مصر وفي كل البلدان العربية.

رابعا: وهو الاستخلاص الرئيسي والذي يخص مصر بالدرجة الأولى فلقد كشف التطور التاريخي للحركة الوطنية المصرية عن قانون خاص بها مؤداه هو ارتباط شراكة بين القوى الوطنية المدنية وبين منظومة القوة، شراكة كانت قائمة دائما على مشروع، وذلك ما تكرر لمرات ثلاث خلال أقل من قرن ونصف.

ما العمل؟

في المرحلة الفاصلة الراهنة وهي مرحلة تؤكد شواهدها الظاهرة والخفية إدراك أعداء الوطن أن صعوبات جمة سوف تواجه مشاريعهم بسبب صمود منظومة القوة دون سائر عناصر القوة الشاملة للبلاد لذلك فالحفاظ عليها وحمايتها لابد أن تكون على رأس الأولويات الوطنية، فلابد من الحرص على تقويتها واحتضانها لأن دورها ومكانتها يضعانها في قلب مشروع النهضة والتحرر والتقدم لا أن تكون عند حافته.

إن مصائر شعوبنا تتشكل الآن: فإما أن تكون باتجاه الضياع والخروج من الجغرافيا والتاريخ والمستقبل أو باتجاه تثبيت وجودنا الفاعل بتواصل الجغرافيا والتاريخ والمستقبل.

وليس من قبيل المبالغة أن نعتبر دور مصر في مرحلة تحديد مصائر الإقليم ومصيرها أيضا هو دور شديد الأهمية والحيوية وانه مشروط بادراك قانونياتها الخاصة والأدوار المناطة بقواها الوطنية ومدى استعدادها وقدرتها على التوحد وصولا إلى النجاة وإلى النصر.؟؟ ■■

دخلت مصر إلى مرحلة من الردة التي أعادتها إلى التبعية الكاملة والمباشرة على أيدي طبقة كمبرادورية تم تسريع بنائها ودعمها من أعلى داخليا وخارجيا وتم إطلاق يد هذه الطبقة للنهب والاستغلال والفساد وتدمير الاقتصاد تحت مسمى الحرية الاقتصادية واقتصاد السوق والخصخصة وفتح الباب أمام رأس المال الامبريالي والصهيوني وكنس كافة المكتسبات العمالية والشعبية التي تحققت خلال عقود

❖ الحرب على العراق تمهيد لانقلاب استراتيجي عالمي

❖ لم يحدث أبدا أن قام محتل ببناء عناصر منظومة قوة لبلد قام باحتلاله

❖ المشروع الأمريكي الصهيوني يستهدف تقويض دول المنطقة حربا أو سلما كمقدمة لتفتيتها

❖ تقويض عناصر القوة الشاملة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وعلمياً وروحياً يسهم في التحضير للانقلاب الاستراتيجي وتحقيق مشروع الهيمنة الأمريكية الصهيونية

❖ مطلوب أن تكون الدول المستهدفة منكفئة على نفسها داخل حدودها وألا تتطلع لأي تأثير مادي أو معنوي خارج حدودها الجغرافية

❖ الشرق الاوسط الجديد مشروع سايكس بيكوي يراد تمريره بالحديد والنار أو سلما بالخضوع الذليل بحجة إيثار السلامة وهذا يجب مقاومته مهما كانت التكلفة، والانتصار مضمون إذا توفرت إرادة المقاومة

❖ التناقض الرئيسي هو بين شعوبنا من ناحية وبين الامبريالية والصهيونية وعملائهم المحليين من ناحية أخرى وهو ما يتطلب فرزا دقيقا للقوى

❖ التطور التاريخي للحركة الوطنية المصرية يكشف عن قانونية خاصة قائمة على شراكة بين القوى الوطنية المدنية وبين منظومة القوة

❖ مصائر شعوبنا تتشكل الآن: إما أن تكون باتجاه الضياع والخروج من الجغرافيا والتاريخ والمستقبل أو باتجاه تثبيت وجودنا الفاعل

من التراث

صلح الحديبية.. والقضاء على خطر اليهود

يكثر الحديث عن صلح الحديبية باعتباره مفصلاً سياسياً هاماً في بناء دولة الإسلام، ويعتبره البعض الآخر بأنه كان مقدمة لفتح مكة. وسأحاول هنا أن أوضح أن الهدف الحقيقي لذاك الاتفاق، إنما أملاه إحساس النبي محمد(ص) بتعاظم الدور اليهودي في يثرب وأن الخطر اليهودي، هو الخطر الحقيقي لأنه عقائدي بالدرجة الأولى، وأيضا بسبب الأحلاف المعادية التي أوجدها وتزعمها اليهود ضد محمد(ص) بعد غزوة الخندق (الأحزاب) التي كانت قاسية جداً على المسلمين والتي أظهرت مدى خبث اليهود وقدرتهم على تأليب القبائل ضدهم. أدرك النبي محمد(ص) أن خلافه مع قريش يحتمل التريث والتأجيل في مواجهة الخطر الأكبر، وكان ذلك الاتفاق التاريخي والذي لم تستوعبه غالبية من كانوا مع النبي فأبدوا معارضتهم عليه ورأوا فيه تنازلا غير مبرر، لكن الرؤية الثاقبة للنبي(ص) سمحت بتوقيع الصلح، وإن كان في ظاهره ينافي مصلحة المسلمين؛ بنود الاتفاق الرئيسية اقتضت من النبي الموافقة على عدم دخول مكة لأداء شعائر الحج وتأجيله للعام الذي يليه (ويدخلها بسلاح الراكب والسيوف في القرب)، والبند الثاني وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين (يأمن فيها الناس والتجارة)، أما البند التالي فهو أقساها ... (من أتى للإسلام من قريش دون إذن وليه أو هاربا منها رده لقريش، ومن رجع إلى قريش هاربا من محمد لم يرد إليه،) لكن أول مكاسب هذا الاتفاق كان اعتراف قريش بالإسلام كقوة على أرض الواقع، فهي لم تكن تعترف به، بل وتسعى لاستئصاله؛ لكن الكسب الأكبر كان في الالتفات إلى الوراء (يثرب) حيث مكمن الخطر، فتوجه النبي(ص) بكل قواه للقضاء نهائيا على اليهود بعد تحييد قريش مؤقتاً وإخراجها من المعركة، أما البند المذل للمسلمين في تسليم قريش من يأتي إليهم، فقد تسارعت الأحداث في إسقاطه وبطلب صريح من قريش، وسببه أن أحد الرجال ممن أعلن إسلامه ويدعى «أبو بصير» استطاع الإفلات من قريش ولم يستطع الإقامة بين المسلمين بعد أن رفض النبي ذلك احتراما للعهد، فأقام على ساحل البحر الأحمر ثم تبعه آخر.. وآخر، وهكذا حتى أصبح العدد كبيراً، وبدأوا بالإغارة على قوافل قريش التجارية ولم تستطع قريش تحميل المسؤولية لأحد، بل وطلبت من النبي(ص) إعادتهم إلى المدينة ليأمنوا شرهم، أثناء ذلك دخلت أسماء كبيرة في الإسلام (عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة) وبدأ النبي بنشاط سياسي وآخر عسكري، أما السياسي فإرساله الكتب والرسل إلى الملوك و الأمراء (النجاشي ملك الحبشة- المقوقس ملك مصر- المنذر بن ساوى حاكم البحرين-وهوذة بن علي حاكم اليمامة- وكسرى وقيصر) يدعوهم لدخول الإسلام أو دفع الجزية، لكن ساعة الحسم هي «غزوة خيبر» وذلك عام ٧هجرية، وخيبر كانت مدينة كبيرة ومركزا للدسائس والمكائد، وفيها حصون كثيرة منها (ناعم- الصعب بن معاذ- الزبير- النزار- القموص- الوطيح- السلالم) وأخرى صغيرة أو ليست بذات المنعة. كان جيش المسلمين يتكون من ألف وأربعمائة مقاتل، وفتحت جميع هذه الحصون، ووأد النبي فتنة اليهود، وتغيرت أحوال المسلمين المعيشية.

تقول السيدة عائشة: «لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر». وتزوج النبي (ص) من صفية زوجة كنانة بن أبي الحقيق، بعد أن قتل زوجها لغدره العهد، واستشهد من جيش المسلمين ستة عشر رجلا وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون قتيلا، وانتهى بذلك خطر اليهود الذي كان قائما على الدوام . وبعد سنوات قليلة تعطل اتفاق الصلح مع قريش، وكان فتح مكة الذي غير كل الموازين في جزيرة العرب.

■ هشام الباكير
hisham@kassioun.org

تنويه

تعتذر قاسيون لقرائها عن تكرار مقال «نفوس العاشقين» في زاوية «من التراث» في العددين ٢٩٢ - ٢٩٤ وذلك بسبب خطأ فني، ما اقتضى التنويه..

تلفزة القراءة.. وغياب الروح

في التلفزيونات العربية ميلٌ ثقافيٌ للاحتفاء بالكتب، وقد نجد الكثير منها نسخاً معادةً مكرورةً، على نمط فقرة «المجلة الثقافية» في تلفزيوننا المحليّ. وعموماً، هذه الفقرات خالية من الجاذبية، حيث تتلو المذيعة تقريراً، لا علاقة لها به، بلا روح، على العكس من تلك البرامج الجادة التي تقدم لكتاب الحلقة عرضاً ونقداً وتحليلاً، باستضافة الكاتب، وناقد ذي وجهة نظر حقيقية، كما في برنامج «الكتاب خير جليس في الزمان» الذي يعده ويقدمه الصّحافي العربي خالد الحروب على قناة «الجزيرة». أو برنامج «كل يوم كتاب» الذي تبثّه «العربية» بشكل أكثر تكثيفاً.

في المقارنة بين النمطين، ننحاز إلى الأكثر جديةً واتزاناً، فجلّ ما يحتاجه الكتاب ترويج إعلامي، يفيد من سلطة الشاشة على المشاهدين، حيث يمارس ذلك الإغواء المعرفي على المهتمين، أو يثير فضول الآخرين، مما يساهم في قطع القطيعة المعلنة على هذا الكائن.

لكنّ النّمط الهزيل، مع الأسف، هو السّائد، فحيث يحكى عن الكتاب كيفما اتفق، بغض النظر عن فحواه وقيمته، على خلفية صور للغلاف، أو للصفحات، يحدث أن يعاف القراء الحقيقيون ذلك التهريج المجاني، وأن يزداد امتعاض الآخرين الذين تطمح للإثارة استجابة ما منهم، بحيث يشيحون النظر، ففي الفضاء المفتوح موادٌ أكثر متعة وتسلية.

هذا ما يحدث حين يُقدّم الكتاب كمجرد إكسسوار، أو ديكور يؤطّر المذيعة الجميلة، أو استعراض خال من أيّ همّ.

بورخيس: في مديح الكتب

- الكتاب أهم ما ابتكره الإنسان، وهو أكثر ما يدهش، ذلك أنّ الوسائل الأخرى امتداد لجسده، فالمجهر امتدادٌ لبصره، الهاتف امتدادٌ لصوته، المحراث والسيف امتداد لذراعه، أما الكتب فهو امتداد لذاكرته ومخيّلته.

- إنّني أعتبر نفسي قارئاً في الأساس، وقد تجرأت، على الكتابة، وأظن أنّ ما قرأته أهم بكثير مما كتبته.

- كانت عند أبي مكتبة كبيرة، وكان مسموحاً لي قراءة أيّ كتاب، حتى تلك الكتب المحظورة على الأطفال، في العادة. من ذلك مثلاً كتاب «ألف ليلة وليلة» الذي قرأته بكامله، وهو كتابٌ يزخر بالفواحش التي لم ألاحظ أيّاً منها في ذلك الحين، لأنّ ما كان يهمني منها حينئذ هو سحر ألف ليلة وليلة، ولقد استولى عليَّ ذلك السحر إلى حدّ أني قرأتُ البقية، دون أن أنتبه إلى أية دلالة أخرى، ولكن، مع مرور السنين، أدركتُ، أنني لم أغادر تلك المكتبة أبداً، ومازلت أواصل قراءة الكتب التي فيها.

■■

ربّما!

هؤلاء نحن

ثمة أنواع متباينة من القراء، أجملهم هم الذين أصابتهم القراءة بمس، فما عادت مهمة تلك الفوارق بين الواقع والخيال.

لكل منهم لمسة سحر، هي نصه الحياتي المعاش الذي يضاهي النصوص التي أصابته، وفي السير الشخصية لكل منهم مشاهد ومواقف تستحق فصولاً إضافية في كتاب «تاريخ القراءة» لألبرتو مانغويل.

جارنا المسوس بماركيز سمى ابنته أورسولا تيمناً بشخصية الأم في «مائة عام من العزلة»، لكن أحداً من محيطها، إلى اليوم، لم يعرف كيف تلفظ تلك الكلمة، هذا عدا الحلة الشرقية التي باتت عليها الآن. وبالطريقة نفسها، حدث الأمر مع فتى اسمه مُحسَّد، كان عمه مغرماً بالمتنبي.

قارئة ارتبط تاريخ حياتها بإعادة قراءة «الخيميائي» التي اعتبرتها منذ المراهقة كتاب حياتها، ولم تكن لتخسر ذلك الوهم، الذي كان يموّلها بالأمل اللازم، لولا تنفيذ ياسر العظمة لها، في واحدة من أسوأ مراياه.

وآخر، منذ وقع على «خفة الكائن التي لا تحتمل» و«فالس الوداع» و«الخلود»، وصديقه الطيب ميلان كوندیرا لا يتخلف يوما عن زيارته في مناماته اللذيذة.

ورابع، وربما عاشر أو مليون، وقف يصيح مكسور القلب، بعدما عجز عن وأد خلاف أبناء عمومته، في قرية نائية : تذابحوا.. لأنكم لم تقرأوا مقطعاً من فرناندو بيسوا.

هؤلاء ليسوا تشكيلة مجانية من القراء، ولا هم استعراض للبضاعة على طريقة مندوبي المبيعات، ولا هم مشروع توسع في كتاب «أخبار الحمقى والمغفلين».. هؤلاء نحن، نحن الذين حاولت نظرية «موت المؤلف» إحياءنا، دون جدوى، لنظل في عداد الغائبين والمغيّبين، نحيا كما يحلو لنا أن نكون «أحياء في البحر الميت»..

■ رائد وحش

مشاريع نشر القراءة

متى ينتهي الاغتراب بين الكتاب وقرائه؟

انطلاقاً من الرغبة النبيلة في نشر الثقافة، وتوسيع مساحة تداول الكتاب، قامت الكثير من المؤسسات بالعمل وفق مبادرات متفرقة، هنا وهناك، عسى ولعل تحل مشكلة هذا «الشعب الذي لا يقرأ»!

بدايةً، المعروف أنّ القراءة، كفعل متعة أوّلاً وأخيراً، شأن شخصي يتعلق بخيارات فردية، تحسم منذ فترة اليفاعة، الأمر الذي يقود إلى مساءلة المدرسة حول ما فعلته بخصوص زرع تلك البذرة في النفوس، من خلال مناهج تسعى إلى خلق محفّزات، عبر ما تقدّمه من نصوص تبني ذائقةً، وتنشئ عقولاً نقديةً. كذلك تفعيل مهمة (أمين المكتبة المدرسية) التي باتت تعني الآن، بشكل أو بآخر، وظيفة مريحةً للنافذين، أو للمعلمين المرضى، وهو ما يعني تعطّل هذه الجهة، ناهيك عن أهمية إعلاء شأن الكتاب شعبياً، ونشر حسّ الواجب تجاهه، إذ تنحو الثقافة الشعبية إلى ازدرائه، وحتى القرآن الكريم نفسه، يعلّق على جدران البيوت أكثر مما يقرأ. طبعاً غير صورة القارئ، في الوعي الجماعي، والتي ترادفها كلمات الكسول.. العاطل.. المضيّع للوقت..إلخ. ضمن هذه النقاط وسواها، ستكون الأولوية لتوفير الشرط الملائم، قبل الخوض في أية أمور أخرى، لأنها لا تعدو كونها تفاصيل، فيما بعد. أمّا الملح الآن، فلتكن الاقتراحات الحقيقية في مجال ثقافة الطفل والناشئ، بعيداً عن نوايا التعليب، وآليات التدجين.

وليكن، أيضاً، العمل في الجامعات على تعزيز الروح البحثيّة، والابتعاد عن عملية الحشو والتقرير التي أثمرت هذا الخراب، وليكن هناك تفعيل للحركة الثقافية.. وحين يصير المناخ مهيّئاً، زاخراً بالحراك، غنياً بالتفاعل الإيجابي، وقتها سيكون الكتاب حاجة ضرورية، وسلعة مطلوبة.. أما في هذا التردي والنكوص فلا.

كلّ المشاريع، التي انطلقت منذ سنوات، وضعت في حساباتها المسألة الاقتصادية، حيث تعاني الكتب من غلاء الأسعار، لكنّ السلع الأخرى غالية أيضاً، ومع ذلك نشتريها. وبناء على هذا الحساب طرحت منظمة اليونيسكو مشروع «كتاب في جريدة»، وهو، للأمانة، من أهم المبادرات، وأكثرها طموحاً، وأرقاها، لكنّ الذي حصل أنّ القارئ كان يشتري الجريدة، ويترك وراءه العدد للبائع الذي يبارز فيه تجار الورق بالكيلو، وتبدو هذه المشكلة ذات أوجه، ربّما كان أبسطها أنّ قارئ الكتب مختلف نوعياً عن قارئ الصحف.

ولا يختلف الحال في التجارب المشابهة، مثلاً مشروع وزارة الثقافة ودار البعث الذي يثمر كل شهر عن كتاب بطبعة شعبية، ولكنّ دار البعث لا توزعه إلا للمشتركين في الجريدة فقط، وقد صدرت في هذه السلسلة أعمال هامة لكتاب سوريين وعرب وأجانب، قدماء وحديثين، دون أن تواكب بتفاعل مع القراء، ضمن أدنى الحدود.. مثله تماماً المشروع المشترك بين دار المدى وجريدة الثورة السورية، كما تتعاون صحف عربية، كل واحدة في بلدها. لكنّ الذي حدث أننا، هنا، قرأنا كتاب المدى الصادر بالتعاون مع جريدة «القاهرة» المصرية، ولم نعثر على ما تصدره الثورة، ربما لأنها تتبادل النسخ مع القاهرة! مع العلم أنّ الإصدارات نفسها تطبع بشكل خاص في المدى، وتباع بسعر معقول، مما يعني أنّ المشروع ليس إلا حركة دعائية ذكية للجهة الناشرة صاحبة المبادرة.

وهناك كتب دورية شهرية، ككتاب الجيب الصادر عن اتحاد الكتاب العرب، وهو بلا أهمية تذكر، وكتاب «آفاق ثقافية» الصّادر عن وزارة الثقافة بدمشق، وهذه السلسلة تطمح لمنافسة السلاسل المكرسة، وليس ذلك بالمستحيل، لكنّها (آفاق ثقافية) لا تنفتح على الراهن في الثقافة السورية، ومشكلتها أنها مصرّة على تقديم كلاسيكيات.

لكلّ المشاريع شرف العمل لصالح فكرة الثقافة، إلا أنها تحتاج وقفة لقراءة الواقع، وربّما معالجة مشكلاته بعناوين على تماس معه..

■■

صفر بالسلوك... بقية

طبقات المدخنين

كانت أصناف التبغ موزعة على شرائح المجتمع كافة. «فالكنت مشروب البنت» دلالة على أن النسوة يفضلن الكنت. أما البولمول فهو دخان سائقي الشاحنات وهو أكثر أنواع الدخان تلقياً للمديح، حتى من الذين يدخنون أصنافاً أخرى. أما الونستون فهو دخان الحشاشين، نظراً لقوة جرعته النيكوتينية، بينما المارلبورو دخان الميسورين. فما الفائدة من الأموال إذا لم تدخن المارلبورو؟..

وفي عام ١٩٨٦ بدأت الامبراطورية الرباعية التبغية بالانهيار بسبب شح السيولة المادية في البلاد. وتم الانهيار عام ١٩٨٧ مع الحصار الاقتصادي على سورية وبدأت أزمة الدخان فعلياً بالظهور: لا يوجد دخان أجنبي. فالدولة لم تعد تستورد، والمهربون يواجهون صعوبات كبيرة والليرة السورية انهارت أمام الدولار والغلاء تفشى والمواد الاستهلاكية ندرت.

وفي ظل هذه الأزمة تراجعت الإمبراطورية الرباعية «الكنت والبولمول والمارلبورو والونستون»، لعدم قدرة المواطن السوري على شرائها، وتقدمت أصناف جديدة رخيصة جداً، فيما لم تعد علب الحمراء القصيرة والطويلة تلبي حاجة السوق وحدها بسبب إقبال الجميع عليها، فأصبحت السيجارة الوطنية تباع في السوق السوداء وبضعف ثمنها، ما أدى إلى ازدهار أنواع جديدة من الدخان المهرب الرخيص مثل، (مونت كارلو) وهو من إنتاج شركة ونستون ذاتها، وكذلك الـ (بوند) وهو من إنتاج فيليب موريس، بالإضافة إلى ازدهار الفيسروي في دمشق والـ LM في حلب. وينعدم وجود الفيسروي في حلب بسبب إشاعة حلبية بحتة عن كون هذا الدخان إسرائيلي، يسبب العقم للرجل. وكذلك الأمر بالنسبة لـ LM في دمشق حيث أنه يسبب العقم أيضاً. وهكذا فان المدخنين في حلب سيتمتعون بالـ LM من دون أن يصابوا بالعقم في حين يتلذذ الدمشقيون بالفيسروي من دون أن يحدث لهم شيء أيضاً. ولكن... إياك أن تدخن الـ LM خارج حلب!..

ومن لبنان أتى «السيديز» إلى دمشق فقط، وبقي مجهولاً في حلب إلى الآن، كما ظهرت كميات ضخمة من دخان يعود إلى الخمسينات «طاطلي» في حلب وكذلك الأمر في دمشق، ولكن من نوع شعبي آخر هو «البافرا» وفي الفترة نفسها ظهرت من مستودعات الغيب ماركتا عرق وطني قديمتان «ملوكي» و«كبريتة».

ولكن الدولة لم تستكن ولم تستسلم فبدأت بمحاولة (الاكتفاء الذاتي) لذلك قامت بإنتاج أنواع جديدة من الدخان (الفاخر) و(الحديث) و(اللايت) لتقف بجانب البطل الوطني (الحمراء) بشقيه (القصيرة والطويلة). ولكن هذه الأنواع الجديدة لم تصمد وأثبتت فشلها بعد سنوات. فدخان (الاوغاريت) الذي صنع ليكون بديلاً محلياً للكنت الأميركي فشل في سباق الدخان الماراتوني، وسقط لأسباب كثيرة منها عدم لصق الفلتر جيداً. فكنت ترى مدخن الأوغاريت وهو يعاني في إمساك السيجارة وتدخينها من دون سقوط الفلتر، بينما فشل نوع جديد يدعى (أفاميا) في الصمود لأكثر من عشرة أشهر، في حين استمر «إيبلا» حتى الآن من دون أن ينال شهرة تذكر أمام (الحمراء).

ومع انتهاء الأزمة في بداية التسعينات عاد «البولمول» إلى الساحة ولكن برفقة اللوكي هذه المرة، في حين بقي الكنت مختفياً من السوق بسبب قلة راغبيه، وتابع المارلبورو طريقه مع أصحاب الأموال والميسورين، وبدأت لغة جديدة مع عودة الدولة إلى الاستيراد. فالدخان المستورد اسمه (غوته) نسبة للشركة السورية العامة المستوردة (غوته). والدخان المهرب من لبنان اسمه (وزاري) وذلك لوجود جملة بالعربية مكتوبة عليه (وزارة الصحة تحذرك من التدخين... الخ)، أما النوع الثالث فهو (الأصلي) أي المهرب تهريباً خالصاً.

ومع مرور الزمن صار هناك المارلبورو البلغاري والقبرصي، بل وظهر المارلبورو السوري، وهو عبارة عن عبوات مغشوشة تصدر من حلب، فبدأت الحيطة في شراء التبغ الأجنبي إلى أن انتهى الأمر بإعادة الثقة للدخان المستورد (غوته) على اعتبار انه الأكثر أماناً. إلا أن الدخان الأغلى هو نوع جديد أيضاً، وهو «السعودي» أي المصدر إلى السعودية. ومع رفع شعار مقاطعة البضائع الأمريكية كشر الدخان الفرنسي عن أنيابه، فظهر (الجيتان) بأنواعه الجديدة (لايت وسوبر لايت)، وكذلك الغولواز الأزرق والأحمر. وبدأ المثقفون بالترويج للدخان الفرنسي مستنكرين وجود علب الدخان الأمريكي على طاولاتهم، فأصبح مدخن المارلبورو أو الونستون عميلاً لأمركا حتى يغير دخانه إلى الفرنسي طبعاً. وصار بإمكان المتفرج أن يعرف الموالي لغزو العراق أو المناهض لهذا الغزو من علبة دخانه، وظهر مصطلح (الوطنية) بقوة وبخاصة من الشيوعيين مرفقين حملتهم الوطنية هذه بوضع علب الجيتان والغولواز أمامهم على الطاولات بفخر واعتزاز.

■■

«قاسيون» يصدرها الشيوعيون السوريون بناءً على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السوري في 2003/12/18

«قاسيون معكم»... «كرامة الوطن والمواطن، فوق كل اعتبار»! | **أغلق تحرير هذا العدد ظهيرة يوم الأربعاء 2007/2/28**

هل بدأت «هوليود» بالنزول من برجها العاجي؟؟

الأوسكار الـ (79).. «سكورسايزي» يطيح بآمال «إيستوود» مرة أخرى!

هل بدأت «هوليود» تتخوف من عزلتها عما يبدعه الآخرون؟؟ هل أحس موصدو أبوابها أن فنانيها المدللين جداً بدؤوا بالتراخي والشعور بالعظمة لدرجة أن معظمهم لم يعد قادراً على تقديم المزيد؟؟ هل أصبح ما تقدمه التجارب السينمائية الأخرى أقوى من أن يجري التغاضي عنه؟؟ هذه الأسئلة كلها بدأت تطرح بصوت عال بعدما (اضطرت) «هوليود» للاعتراف بمواهب الآخرين في مسابقة الأوسكار الأخيرة..

فقد تميز حفل توزيع جوائز الأوسكار في الدورة الحالية الـ٧٩، بمشاركة دولية واسعة على مختلف الفئات التي كانت تحرص أكاديمية العلوم والفنون السينمائية في السابق على أن يتنافس ضمنها أفلام أميركية وفنانون أميركيون فقط، فيما تخصص فئة أفضل فيلم أجنبي فقط للأفلام القادمة من دول أخرى.

الأوسكار هذا العام بدا مختلفا من حيث فتح الباب لممثلين وفنيين أجانب لينافسوا الأميركيين على جوائز الأكاديمية بمختلف الفئات، فقد شعرت الأكاديمية المنظمة للمهرجان أن استمرار المهرجان بصيغته السابقة غير ممكن، ما جعل من مهرجان العام الحالي حدثا عالميا بكل معنى الكلمة، حيث شارك فيه فنانون من مختلف القارات، وتابعه أكثر من مليار مشاهد حول العالم.

وفي نتائج المنافسة، فقد حصد فيلم «الراحلون» لمخرجه الأمريكي «مارتن سكورسايزي» أربع جوائز ذهبية، وحصل «سكورسايزي» على جائزة أحسن مخرج، وأحسن فيلم، إضافة إلى جائزتين أخريين. ويتناول الفيلم الفساد المستشري في صفوف الشرطة في مدينة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية.

ونال الممثل الأمريكي «فوريست ويتكر» جائزة أحسن ممثل عن دوره في فيلم «آخر ملوك سكوتلندا» بعدما جسد شخصية ديكتاتور أوغندا السابق عيدي أمين.

وحصلت الممثلة البريطانية «هيلن ميرن» على جائزة أفضل ممثلة عن دورها في فيلم «الملكة» الذي تقمصت فيه دور الملكة إليزابيث الثانية.

أما جائزة جائزة أوسكار أفضل فيلم أجنبي فقد ذهبت للفيلم الألماني «حياة الآخرين» (Das Leben der Anderen) للمخرج فلوريان هنكل.

ولعل أفضل مثال على المنافسة الأجنبية المجدية هو الفيلم المكسيكي «متاهة بان» (Pan Labyrinth) للمخرج «غيليرمو ديل تورو» فبالإضافة إلى منافسته ضمن فئة أفضل فيلم أجنبي- فقد تنافس على خمس فئات أخرى هي: أفضل سيناريو وأفضل موسيقى تصويرية وأفضل تصوير سينمائي وأفضل ديكور وأفضل ماكياج. وقد حصل الفيلم على جائزتي أوسكار ذهبتا إلى آخر ترشيحين.

والفيلم الآخر هو بابل، وهو عمل فني أميركي الإنتاج عالمي القصة والأحداث، وتنافس مخرجه المكسيكي «أليخاندرو غونزاليس إينياريتو» مخرج الفيلم الشهير «٢١ غرام» على أوسكار فئة الإخراج مع البريطانيين «ستيفن فريارز» و«بول غرينغراس» والأميركيين «مارتن سكورسيزي» و«كلينت إيستوود».

كما أن ممثلتين من هذا الفيلم رشحتا لجائزة أفضل ممثلة في دور ثانوي هما المكسيكية «أدريانا بارازا» واليابانية «رينكو كيكوشي».

كما تنافست هاتان الممثلتان مع الأسترالية «كيت بلانشيت» المرشحة عن فيلم «ملاحظات بشأن فضيحة» (Notes on a Scandal) والأسترالية «أبيغيل بريسلين» عن «ملكة جمال سنشاين» (Little Miss Sunshine) والأميركية «جنيفر هدسون» عن «الفتيات الحالمات» (Dream Girls).

وكانت أغلبية المتنافسات على فئة أفضل ممثلة غير أميركيات مثل «جودي دينتش» و«كيت وينسليت» من بريطانيا و«بينيلوبي كروز» من إسبانيا والأميركية الوحيدة بينهم كانت «ميريل ستريب»!

كما تنافس على جائزة أفضل ممثل الكندي «رايان غوسلينغ» عن فيلم «نصف نيلسون» (Half Nelson) والإيرلندي «بيتر أوتول» عن فيلم «فينوس» (Venus) مع الأميركيين «ويل سميث» و«ليوناردو دي كابريو» و«فوريست ويتاكر».

يضاف إلى ذلك أن جميع الممثلين والفنيين العاملين في فيلم «خطابات من أيو جيما» (Letters from Iwo Gima) هم يابانيون. والفيلم الذي أخرجه «كلينت إيستوود» اعتبر أول فيلم في تاريخ هوليوود يسرد قصة معركة أميركية من وجهة نظر العدو. إذ يستعرض الفيلم تفاصيل معركة «أيو جيما» إبان الحرب العالمية الثانية من وجهة نظر الجيش الياباني.

وفي هذا السياق قالت مقدمة حفل الأوسكار الـ٧٩ الممثلة الكوميدية الأميركية «إيلين ديجينيريس» إن الصالة تعج بالضيوف الأجانب الجالسين إلى جانب «القليل من الفنانين الأميركيين». وقالت إنها تفتخر بتقديم حفل من هذا النوع لأول مرة في تاريخ هوليوود.

يذكر أنه في دورة سابقة، كانت المنافسة قد انحصرت على جائزة أفضل فيلم بين «الطيار» لـ«سكورسايزي» و«طفلة المليون دولار» لـ«إيستوود» ورجحت لجنة التحكيم كفة الأول، وها هو التاريخ يعيد نفسه مرة أخرى هذا العام!! ■■

نوال السعداوي فرّت من مصر!

ذكرت بعض الصحف الأوروبية الصادرة مؤخراً أن الكاتبة المصرية نوال السعداوي، قد (اضطرت) للفرار من مصر لأنها «شعرت بأنها مهددة بالقتل ولجأت إلى بلجيكا، في انتظار الإقامة في الولايات المتحدة». ونوال السعداوي التي قامت عبر العقود الماضية بتوجيه انتقادات لاذعة للحكم في مصر وكتبت وثبتت العديد من الآراء السياسية والاجتماعية الجريئة، لم يكن ينتظر منها هذا الفرار، رغم كل ما سبقه من خطوات تمهيدية..

ومن المعروف أن نوال السعداوي (٧٧ عاما) التي ألفت ما يقارب من أربعين كتاباً ترجم أغلبها إلى عدد من اللغات الحية، إضافة إلى كونها كاتبة وباحثة وناشطة سياسية وطبيبة نفسية، قد ناضلت (فيما مضى) ضد الاستعمار البريطاني ثم ضد السلطات المصرية المتعاقبة، لكنها، وبدءاً من عقد التسعينات قد أصابها شيء من الوهن فيما يبدو، ولجأت إلى الولايات المتحدة أكثر من مرة، وهي ستتوجه مجدداً بعد بلجيكا إلى فرجينيا (جنوب شرق الولايات المتحدة) حيث ستتسلم جائزة أدبية!

والسؤال: إذا كان هذا حال ومآل (المثقف النخبوي) العربي، فماذا يفعل من يُتهمون جزافاً بالجهل والتخلف من (العامة)؟؟

يقول المثل الشعبي: «لايبقى في الوادي إلا حجارته».. فمتى سيصبح (النخبويون) من أصحاب الجذور العميقة المتشبثة بالأرض والمتحدة معها؟؟ ■■

الكشف عن كاتب السجلات المصرية المقدسة

ماذا سيدّعي الصهاينة هذه المرة؟؟

أكدت الصحافة المصرية مؤخراً أن بعثة آثار إسترالية نجحت بالتعاون مع المجلس الأعلى للآثار في مصر في الكشف عن مقبرة جديدة من الطوب اللبن ترجع إلى نهاية الأسرة الخامسة وبداية الأسرة السادسة.

والمقبرة كما أكد مسؤولو الآثار المصريون تعود لشخص يدعى «كاحاي» ويحمل لقب كاتب بيت السجلات المقدسة، أي أن عمله كان داخل المعابد التي تضم أهم السجلات الخاصة والمقتنيات الملكية، وتحتوي المقبرة حسب المشاهدات على باب خشبي مسجلة عليه الأسماء المختلفة لصاحب المقبرة وزوجته التي تدعى «سبري عنخ»، كما عثر أيضا على مائدتين للقرابين المقدسة، إحداهما لصاحب المقبرة والأخرى لزوجته.

يشار إلى أن البعثة قد عثرت أيضا على خمسة تماثيل خشبية في حالة جيدة، أربعة منها لصاحب المقبرة وزوجته، أما الخامس فهو تمثال مزدوج لصاحب المقبرة وزوجته وهما في وضعية الجلوس، وهو تمثال نادر جدا، حيث أن هذه النوعية من التماثيل المزدوجة الجالسة، عادة ما تكون من الحجر وليس من الخشب. وأوضح مدير منطقة آثار «سقارة» أن هذه التماثيل موجودة الآن في مخازن سقارة للصيانة والترميم والتنظيف.

الخبر بحد ذاته قد لا يكون على درجة كبيرة من الأهمية الأثرية والتاريخية، فما اكتشف سابقاً في مصر من أوابد مدهشة، أصبح من الصعوبة أن يضاهى، ولكننا نورده الآن بصيغته الأولى، لنقوم لاحقاً بمقارنته بما سيسارع الصهاينة لادعائه في وقت قريب.. فقد اعتدنا من هؤلاء الدخلاء المارقين أن يحاولوا نسب كل ما يكتشف من آثار لحضارتهم المزعومة، حتى لو كانت هذه المكتشفات في بلاد الواق الواق! ■■

صفر بالسلوك

■ لقمان ديركي

طبقات المدخنين

ربما تكون كلمات (كنت... بولمول... مالبورو... ونستون) هي أشهر كلمات مسموعة في مدينة حلب خلال فترة السبعينات. هذه الجملة كان يرددها باعة التبغ المهرب في الشوارع المزدحمة. ولعل شارعي السينما (بارون والقوتلي) هما المكانان المفضلان لبائعي الدخان المهرب المختلطين بباعة الجينز المهرب والأحذية المهربة والصحون المهربة أيضا.

وعلى الرغم من العداوة المبطنة التي يكنها بقية المهربين لمهربي التبغ حصراً، إلا أنهم يتفقون على أشياء كثيرة قبل بدء يوم العمل الشاق. ففي الصباح توزع كلمة السر على جميع المهربين المقيمين في شارع القوتلي أو شارع بارون. وهي كلمة تستخدم عند مجيء دورية شرطة المكافحة. فما إن ينادي أحدهم بكلمة السر، ولتكن (وليد) حتى يختفي المهربون بلمح البصر وهم يصرخون (وليد... وليد) كي يختفي من لم يسمع الإنذار. وهكذا تتجول دورية الشرطة ببلاهة بين المارة وتمضي خائبة، ثم يرتفع صوت من جديد «وليد... وليد» فيعود المهربون إلى الظهور بضجيجهم المعهود، فنعود نسمع الكلمات الشهيرة (كنت... بولمول... مالبورو... ونستون).

في منتصف السبعينات كانت الحكومة السورية تستورد كل أنواع التبغ ما عدا المارلبورو والونستون الورقي، بينما كان ونستون الكارتوني موجوداً لدى الباعة النظاميين. وكانت مسابقة تاج ونستون تشمل التاج الموجود على الونستون الورقي أيضاً، على الرغم من كونه مهرباً. وربما كان مرد عدم استيراد الونستون الورقي الى صفقة غامضة لترويج الونستون الكارتوني والذي ثبت قدم تبغه وتعفنه. وكانت عبارة (ونستون... الكمال بالمتعة)، التي تبثها اذاعة مونت كارلو ضمن الإعلان عن مسابقة التاج، أكثر عبارة منافسة للجملة الأخرى الشهيرة: (تعال الى حيث النكهة... تعال الى مارلبورو). ويكتمل الفيلم السينمائي التبغي بصورة جياد مارلبورو الشهيرة أو بصورة رجل وسيم يشعل سيجارة الونستون من عود طبيعي مشتعل.

وعلى الرغم من مناداة البائع (كنت بولمول مارلبورو... ونستون)، فليس بالضرورة أن تجد كل الأصناف هذه لديه. فمن الممكن أن تسأله عن علبة (كنت) فيقول لك: (ما في كنت)، ثم يمضي وهو ينادي: (كنت بولمول مالبورو... ونستون). ومن الممكن أيضا أن تجد لديه أصنافاً اضافياً مثل اللوكي أو روثمان من دون أن يجد لهذين الصنفين مكاناً في حملته الإعلانية.

فاذا كانت دعايات مارلبورو وونستون شهيرة فان دعاية (الناعورة)، وهو تبغ سوري رديء شهيرة أيضا. وهي دعاية شفوية اخترعها المراهقون بل وكتبوها على سبورات المدارس: (دخن الناعورة وتمتع بالسعال الديكي). وظلت دعاية (الناعورة) شهيرة حتى ظهر دخان أردأ اسمه (فرات) ولكن المراهقين لم يحاربوا هذا النوع لأنه كان رخيصاً جداً وبالتالي متاحاً لهم. ولكنهم لم يعودوا إلى إهانة (الناعورة) الذي كان الدخان المفضل للعجائز بعد (الحموي) أو (غازي)، وهي ماركات للتبغ الفلت.

وعلى الرغم من حرب الشوارع التي عاشتها مدينة حلب في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات بين الوحدات الخاصة السورية الموالية للدولة وجماعة الإخوان المسلمين، فان سوق الدخان بقيت مزدهرة، بل وأضافت الدولة صنفاً جديداً هو (الحمراء الطويلة) بعدما كانت سيجارة الحمراء القصيرة هي المفضلة لدى الطبقة المتوسطة وطبقة العمال.. والفلاحين والعساكر. أما عناصر الوحدات الخاصة فكانوا يدخنون المارلبورو والونستون نظراً لسهولة تهريبه إليهم من لبنان، وبأسعار رخيصة. وكانت العادة الدارجة لدى مدخني المارلبورو هو حملهم العلبة والولاعة بأيديهم، على الرغم من وجود الجيوب في قمصانهم!!...

البقية ص١١

حين ينطق حنظلة في خندق الكادحين

أنا في الخندق مع الكادحين.. أراقبهم، وأحس نبضهم ودماءهم في عروقهم.. ليس لي سلطة أن أوقف نزفهم، أو أحمل عنهم ثقل همومهم، لكن سلاحي هو التعبير عنهم بالكاريكاتير، وتلك أنبل مهمة للكاريكاتير الملتزم..

■ الفنان الشهيد
ناجي العلي